www.rewity.com

روايات احلام

لا تلومينى !

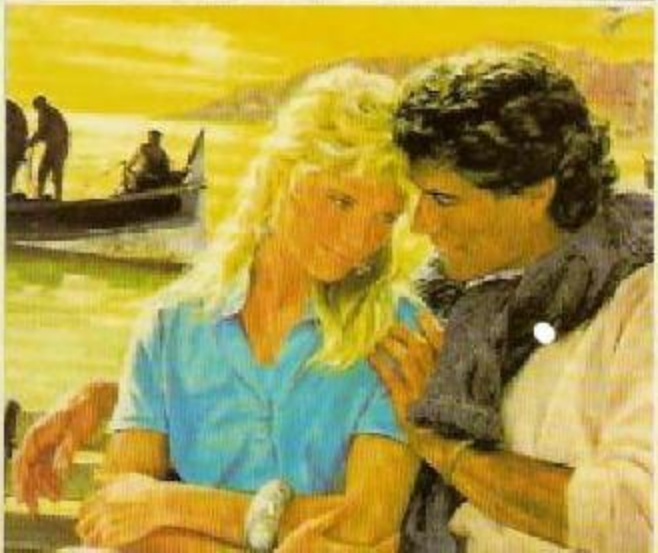

WWW.REWITY.COM

روايات احلام

لا تلوميني!

- لماذا تركتني؟

صرخة كتمتها في قلبها سبع سنوات... ولكن ماذا يهمها من الأمر الآن؟ المهم أن كورتيس ماكسويل تخلى عنها منذ زمن... وعلى كل مشاعرها ومعاناتها هذه السنوات الطوال أن تبقى دفينة من أجلها ومن أجل ابنها الصغير... يجب ألا تسمح للذكريات القديمة بالتطفل على حياتها، فالطريق الذي اختارته طريق موحش ذو اتجاه واحد وستكمله حتى النهاية، وهو لا يشمل رفقة رجل ولن يشمل أبداً كورتيس ماكسويل! لقد سلمته نفسها يوماً مع حبها وثقتها... ولن تكرر هذا ثانية!

لبنان ٣٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ١٠ د.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٢٥٠ ل.س.	قطر ٦٠ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١.٥ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ١٠ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

١ ـ الماضي جرح وغضب!

شقت العبارة التي كانت الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الجزيرة اليونانية كينوس طريقها في زرقة مياه المتوسط الساكنة، محدثة اضطراباً مائياً كان يختفي بالتدريج إلى أن يصبح مجرد تموجات صغيرة تضرب الصخور التي تحرس الخليج الواسع والمدخل إلى ميناء ميلميا.

كان سطح المركب مكتظاً بالبضائع.. براميل الوقود، أقفاص الدواجن، أكياس الفاكهة والخضار.. مما لا يترك مجالاً كبيراً للركاب الذين كانوا في معظمهم من اليونانيين المحليين كما يبدو من شعرهم الأسود ولونهم الحنطي.. لكن هنا وهناك، كان بالإمكان رؤية وكاب بلون بشرة أكثر بياضاً يقفون معاً في مجموعات صغيرة يحرسون متاعهم.

كان هناك فتاة وحيدة راح الهواء يتلاعب بخصلات شعرها الأشقر فوق كتفيها، وكانت تقف لوحدها قرب سياج السفينة تنظر باهتمام إلى الميناء المقترب وكأنها تبحث عن شيء.. الوقت الآن عصراً ولا زالت الشمس الصيفية مرتفعة في السماء.. لم يكن هناك حركة على رصيف الميناء أو على مراكب الصيد واليخوت الراسية قرب الرصيف.. تراجعت فيرلي هيسون عن سياج المركب خائبة الأمل وعادت إلى مقعدها غير المريح أبداً فوق صندوقين من المعلبات.. أنزلت حقيبة معداتها عن كتفها ووضعتها بحذر بين قدميها، ثم استندت على بعض

أكوام الخشب لتتنعم بالشمس.

ستكون مبالغة منها إن أملت أن يكون يخت شون بوشاري راسياً الآن في الميناء. ستكون بضع صور فوتوغرافية له بمثابة بداية جيدة لمهمتها.. لكنها الآن مضطرة إلى الانتظار ريثما يقرر المليونير المنعزل عن الناس إذا كان سيسمح لها بإجراء مقابلة معه أم لا، وهذا ما تحاول صحيفتها بيأس أن تحصل عليه منذ شهرين.

كانت تسمع من حولها أحاديث الركاب وأصواتهم المتعالية بحدة إلى درجة كادت تطغى على صوت المحركات القديمة.. بدأ البحارة في مناداة بعضهم البعض وهم يدخلون الخليج. وتقدم أحدهم منها يشير إليها لتنزل عن صناديق المعلبات التي على ما يبدو أهم بكثير من الركاب.. حملت غيرلي حقيبتها مرة أخرى وهي تتنهد وجرت حقيبة ثيابها.

تقدم المركب ببطء نحو المرسى حيث كان رجلان يقفان بانتظاره، التقطا الحبل الذي رُمي إليهما وراحا يدوران بسرعة حول عمودين حديديين. خفت حركة المحركات ثم توقفت، وتصاعدت جلجلة السلاسل الحديدية الصدئة للمرساة وهي تهبط إلى عمق البحر إلى أن استقرت. وتبادل البحارة التحيات مع الرجلين على الرصيف لعدة دقائق قبل أن يقرروا بدون استعجال وضع اللوح الخشبي بين المركب والرصيف في مكانه لإنزال الركاب. انتظرت غيرلي بصبر وقد اعتادت على مثل هذا الروتين الذي رافقها طوال اليوم تقريباً منذ انطلقت من بيرايوس في الخامسة صباحاً.. ما من أحد مستعجل وكأنما لديهم كل الوقت.. كان المركب قد توقف في كثير من الجزر نسيت غيرلي عددها! وكان يوماً طويلاً متعباً بدت حرارته أكثر بعشرين درجة على الأقل من حرارة انكلترا...

أخيراً تم وضع اللوح الخشبي في مكانه.. ونزلت مجموعة اليونانيين الذين كانوا يقفون قرب السياج محملين بالحقائب والأكياس، وتبعتهم غيرلي ببطء. فهي السائحة الوحيدة التي ستغادر المركب لتنزل في هذه المحطة.. لم تكن حقيبتها ثقيلة الوزن كثيراً، فقد علمتها عشرات من المهمات السابقة في الخارج أن تسافر خفيفة قدر المستطاع، لكنها كانت تحس بارتباك مع حقيبة الكتف، وما إن وصلت إلى نهاية الرصيف حتى اضطرت إلى التوقف لالتقاط أنفاسها.. كانت منازل بلدة ميلميا تنتشر حول أطراف الخليج بأشكال مربعة بيضاء، وكانت كلها تقريباً مؤلفة من طابق واحد مع باب هنا ونافذة هناك، وخلف المنازل ترتفع تلال مع بضع بساتين صغيرة من أشجار الزيتون منتشرة على سفوحها..

ترددت غيرلي للحظات تتساءل أي طريق تسلك لتجد فندقاً محترماً.. في أي بلد آخر، كانت ستحاول السؤال بالفرنسية أو الألمانية أو الإسبانية.. وكلها لغات تتكلمها بشكل جيد. لكنها هنا لا تعرف شيئاً من اليونانية.. فجأة وقع نظرها على مبنى من طابقين على بعد بضع مئات من الأمتار إلى يسارها كان قريباً من مكان ترسو فيه توارب النزهة.. فالتقطت حقيبتها لتتجه إليه وحينما وصلت كانت تشعر بالعرق يبلل قميص التيشيرت الذي ترتديه. أرشدتها غريزتها إلى المكان الصحيح فقد صفت أمام المبنى طاولات وكراسٍ تظللها عريشة عنب قديمة.. كان اسم «تراڤيرنا هيليوس» مكتوباً فوق الباب بحروف كانت يوماً حمراء براقة تلاشت لتصبح زهرية خافتة في الشمس.

كان هناك عدة رجال جالسين إلى طاولات في مكان ظليل، فرفعوا رؤوسهم لمراقبة غيرلي بفضول وهي تصعد الدرج وتمر عبر الطاولات نحو مدخل المبنى البارد والمعتم.. لزمها بضع ثوان لتعتاد عيناها على

العتمة، ثم رأت أن هناك المزيد من الطاولات المنتشرة، ومنصة طويلة تمتد في عرض الغرفة، صفت فوقها عدة أواني عرض زجاجية تحتوي على أطعمة شهية المنظر، ذكّرت غيرلي بحدة أنها لم تأكل شيئاً منذ الصباح.

كانت الغرفة في تلك اللحظات فارغة.. لكن ما إن دقت غيرلي الجرس فوق المنصة حتى أزيحت ستارة سميكة تغطي باباً وظهر رجل متوسط العمر ممتلىء الجسم.. نظر إليها بسرعة وكلمها بالإنكليزية:

ـ نعم مدام.. ماذا تريدين؟

قالت:

ـ أبحث عن مكان أقيم فيه.. هل لديكم غرف هنا؟

ـ أوه.. أجل.. لدينا غرف كثيرة جيدة. كم من الوقت تريدين الغرفة؟

هزت كتفيها قليلاً:

ـ لست واثقة حتى الآن.. لكن قطعاً لأسبوع وربما أكثر.

ـ لا يهم.. تعالي.. سأريك الغرفة.

وخرج فتبعته غيرلي عبر مطبخ كبير حيث كان صبي صغير يقف على صندوق خشبي ليتمكن من غسل الصحون في المغسلة. وكان المطبخ يعبق برائحة الطعام الذي طهي هناك وقت الغداء.. وتجاهلت غيرلي الأصوات التي كانت تصدر عن معدتها ولحقت بالرجل عبر باب أوصلها إلى الهواء الطلق مرة أخرى من جانب «التراڤيرنا».. صعدا عدة درجات من الاسمنت أوصلتهما إلى باب أزرق ينفتح إلى رواق تنتشر أبواب الغرف على كلي جانبيه.

فتح اليوناني باباً إلى الجانب الأيسر وتراجع إلى الوراء ليسمح لها بالدخول. كانت الغرفة بسيطة جداً فيها فقط سرير خشبي مزدوج فوقه

غطاء أبيض وخزانة أدراج صغيرة قديمة الطراز وخزانة ملابس صغيرة، طاولة وكرسي. في الزاوية مغسلة ومرآة مكسورة عند أحد أطرافها.. لكن المكان نظيف لا عيب فيه.. خلال عملها أقامت غيرلي في أماكن أسوأ من هذه بكثير.. فهذا قصر لو قارنته بالغرفة التي أقامت فيها في الهند منذ ثلاث سنوات، وذكراها التي لا تزال تثير فيها القرف حتى الآن.. لكن التجربة الطويلة علمتها أن تضاعف التفحص دائماً.. فالتفتت إلى صاحب الفندق تقول بحزم:

ـ أريد رؤية الحمام.. أرجوك.

وثبتت نظافة الحمام كذلك، مع أنه كان من النوع البدائي.. وسرعان ما أفرغت غيرلي حقيبتها ووقفت تحت دوش تشوقت إليه طوال النهار. شعرت بالانتعاش بعد أن أزال الماء المتدفق تعبها، فارتدت فستاناً صيفياً أزرق اللون وخرجت إلى الممر لتقف برهة عند أعلى الدرج.. وهي تنظر إلى البحر لمحت بقعة قاتمة في الأفق فتساءلت ما إذا كانت هذه هي جزيرة فالبيوس الصغيرة حيث يعيش شون بوشاري حياة الاعتزال.. الجزيرة الخاصة المحرمة على الغرباء والمتطفلين، والمتفرجين المارين. لكنها أتت إلى اليونان وهي مصممة على زيارة الأسد في عرينه.. ولا تنوي إطلاقاً ترك المكان إلى أن تحقق ما جاءت لأجله!

كانت لا تزال تشعر بتعب جسدي، رغم أن الدوش ساعدها كثيراً.. وقررت ألا ترتاح الآن بل أن تنتظر إلى ما بعد العشاء ثم تنام مبكرة. قال لها صاحب التراڤيرنا الذي يدعى لوقا بيتراكيس إنهم سيقدمون طعام المساء بعد ساعة.. لذا أخذت إحدى آلات تصويرها الصغيرة من حقيبة كتفها الكبيرة وخرجت لتستكشف البلدة لبعض الوقت.. في البداية، وجهت خطواتها إلى الداخل وراحت تمر عبر

شوارع ضيقة ملتوية مرصوفة بحجارة سوداء مربعة بين منازل بثبت قرب الطريق مباشرة. وهي تتقدم إلى داخل الجزيرة، أخذت الطريق تزداد انحداراً. وبدأت غيرلي تجد صعوبة في المشي بصندالها المرتفع الكعبين بسبب عدم استواء الحجارة وشدة انزلاقها. أخيراً وصلت إلى آخر البلدة فجلست على جدار منخفض لترتاح. كان خلفها تماماً بستان زيتون ووصلت إلى أنفها رائحة الخشب الزيتي من أغصان وجذوع مقطوعة حديثاً. رأت أمامها عنزتين تقضمان العشب في حقل قريب. ومن بعيد تردد صدى أصوات أجراس الخراف في التلال. كانت الشمس أكثر انخفاضاً الآن والظلال أطول. والجو ساكن جداً وهادىء. جلست غيرلي هناك لبعض الوقت وأفكارها بعيدة أميالاً كثيرة. لكن وقع حوافر أيقظها من أفكارها. ورأت رجلاً وصبياً يقودان قطعاً من عشرة حمير محملة تنزل من التل نحو البلدة. فابتسمت. الآن عرفت لماذا كانت الحجارة منزلقة هكذا، فقد جعلتها الحدوات الحديدية في حوافر الحمير ملساء.

كانت البلدة أكثر حركة وهي تعود إليها. فقد خرج سكانها إلى طرقاتها الضيقة بعد قيلولة بعد الظهر الطويلة. كل أبواب المحلات مفتوحة، والطرقات تكاد تختنق بالمارة. نساء يحملن أكياس مشتريات، أولاد يركضون ورجال يجلسون إلى طاولات صغيرة منخفضة يلعبون طاولة الزهر... إنها ضائعة حتماً، لكنها تابعت نزولها من سطح التلة لتصل أخيراً إلى طريق طويلة إلى اليساو من الترائيرنا واضطرت إلى السير عبر الميناء مارة برصيف مراكب صيد الأسماك ومراكب النزهة. كان هناك الآن المزيد من الرجال يصلحون شباك الصيد عند جدار الميناء، أو يعملون في مراكبهم. ومرت غيرلي بهم منتبهة لأي شيء قد يصلح لصورة جيدة. ونظرت إلى مراكب

أصغر حجماً مما حولها. وتوقفت فجأة وقفز قلبها في صدرها وشل تفكيرها!

وقفت لعدة لحظات تحدق بالرجل الذي صعد بسرعة إلى سطح القارب، لكنه سرعان ما نزل إلى الأسفل ثانية، وبدأت غيرلي تسترخي تطلق أنفاسها المحبوسة، وتجمع شتات نفسها. للحظة مرت، ظنت... لكن لا.. لا يمكن أن يكون هو.: فهذا الرجل أكبر بكثير مما كان كورت، وشعره فاتح اللون أكثر. لكن المفاجأة هزتها. وبدأت تسير مرة أخرى مسرعة نحو الترائيرنا. لقد حدث هذا معها من قبل طبعاً عدة مرات، خاصة في البداية حين كان الجرح لا زال نازفاً. كانت ترى طيفاً في جمع، رجلاً يرفع رأسه بطريقة محددة، أو يسير بتلك الخطوة العريضة الواثقة وكأنه ذاهب إلى مكان محدد، وكان قلبها يغوص في صدرها بجنون ثم تقف مسمرة إلى أن تدرك بإحساس غثيان وإحباط مرير أنه ليس كورت. فمنذ اليوم الذي خرج فيه بعد ذلك الشجار الرهيب، لم تره أو تسمع شيئاً عنه البتة.

حين وصلت وجدت أن عدة طاولات في الترائيرنا مشغولة من قبل اليونانيين الذين كانوا يتناقشون وهم يشربون المرطبات أو القهوة. كان هناك سواح أيضاً تعرفوا عليها كواحدة منهم وهزوا لها رأسهم مع ابتسامة. لكنها اختارت أن تجلس إلى طاولة منعزلة لوحدها وهي تشعر بوطأة الصدمة التي هزتها وجعلتها تغضب من نفسها لسماحها لمثل هذه المصادفة التافهة بأن تؤثر عليها. فقد مضت سبع سنوات.. سبع سنوات طويلة. مع ذلك بمجرد أن رأت شخصاً يذكرها بكورت، كادت تتحطم!

زاد انزعاجها حين وجدت أن يديها ترتجفان وهي تمسك لائحة الطعام. لكنها تمكنت من إعطاء طلبها للساقي بصوت ثابت..

وبالتدريج، عادت سيطرتها على نفسها مع انشغالها بطبق مملوء باللحم وجدت طعمه لذيذاً جداً.. بعد الطعام طلبت فنجان قهوة آخر، وأخذت تراجع الملاحظات بخصوص شون بوشاري باختصار: هو من الجيل الثاني لكندي من أصل إنكليزي، بدأ عمله كموزع صحف من عائلة فقيرة، وعمل بمشقة ليصل إلى مركز مرموق ويمتلك مجموعة صحف ثم يضاعف ثروته عدة مرات ليصبح في الثلاثين من عمره رجلاً من أثرى أثرياء العالم. أنشأ امبراطورية تجارية وأطلق عليه لقب الفتى العابث، تزوج ثلاث مرات، وكان لديه عدد لا يحصى من العشيقات.. ثم، وعلى حين غرة، تخلى عن أسلوب حياته، عن يخوته، كازينوهاته، نسائه، كل شيء، وترك امبراطوريته بين أيدي أتباعه، واشترى جزيرة يونانية حوّلها إلى حصن منيع حيث لا يسمح بالزيارة إليها سوى لقلة مختارة، وهذه القلة بكل تأكيد لا تحوي صحافيين.

رفعت غيرلي بصرها إلى البعيد، لكنها لم تعد تستطيع رؤية الجزيرة في الأفق. كانت الشمس قد بدأت بالمغيب وحولت السماء إلى لون قرمزي ذائب متوهج. حاولت التركيز على التفكير في طريقة تقربها من شون بوشاري، هذا إذا تمكنت من رؤيته. لكنها كانت تحس أنها متعبة جداً فراحت تتطلع إلى غروب الشمس وتغرق نفسها في عظمة الألوان، وتركت تفكيرها يعود بالتدريج إلى الأفكار التي كانت تحوم حول ما حدث معها قبل وقت قصير. حاولت جاهدة أن تتجاهل تلك الأفكار، أن تدفنها في غياهب النسيان.. إلا أنها لم تستطع، فعادت إلى ما قبل سبع سنوات، عندما كانت في السادسة عشرة لا تزال تلميذة مدرسة، والتقت بتلميذ يدعى كورتيس ماكسويل، ووقعت فوراً وبجنون في حبه.

كان الأمر كارثة منذ البداية. كان كورت حينها في الثانية والعشرين

من عمره وفي آخر سنة جامعية له، يدرس الهندسة المدنية.. التقيا في ناد للرقص.. في البداية، نظر كورت إلى مشاعرها نحوه كمرحلة يتوقع أن تخرج منها. كان يعاملها بلطف الأخ الأكبر، وعطف لم تكن تريده ولا تعرف كيف تتجاوزه.. لكنها بقيت مثابرة. وفي ليلة، وهو يتمنى لها نوماً سعيداً، اندفعت إلى ما بين ذراعيه وعانقته بقوة كما تشتهي، ولم يترك رده المندهش مجالاً للشك أنه بدأ يفكر فيها كامرأة.

لكن حتى في هذه الحالة لم يكن الأمر سهلاً.. فقد أصر على أنهما لا زالا صغيرين جداً وأنه لا زال أمامه طريق طويل ليجد عملاً، وستمر سنوات قبل أن يجني ما يكفي من مال ليعيل زوجة.. بالنسبة لغيرلي، كانت كل تحفظاته تافهة لا معنى لها.. فهما يحبان بعضهما، أليس كذلك؟ إذن لماذا الانتظار؟ أقنعته مع الوقت وأخضعت مقاومته، فاستسلم.. ربما لأنه كان يتيماً يتشوق إلى حياة بيتية خاصة به.. أو ربما لأنه أدرك أن غيرلي تحبه بائسة.. وأنهما إذا لم يتزوجا فوراً، فقد لا يتمكنان من السيطرة على مشاعرهما مدة أطول.

كان والدا غيرلي من الطبقة الثرية في المجتمع، أرسلاها إلى مدارس جيدة وعلقا عليها آمالاً وطموحات كبرى، فهي ابنتهما الوحيدة. وحين قدمت لهما كورت وقالت إنهما يريدان أن يتزوجا، صدما صدمة لا تصدق، ونظرا إليه كمتطفل يعيش عالة على غيره ومنعاه من دخول منزلهما. في البداية، ذهلت غيرلي لتصرفهما.. فبالنسبة لها كان كورت ممتازاً وكانت مسحورة به بحيث لم يخطر في بالها أبداً أن والديها قد يعترضان. ساعدتها النزعة العنيدة التي كانت جزءاً من طبيعتها منذ كانت طفلة والتي تدعم مواقفها في عملها الآن، على تليين موقفهما بالتدريج إلى أن أذعنا في النهاية.. وقالا إنها لو وافقت ألا ترى كورت لعدة شهور ريثما تنهي امتحاناته، وإذا كانت بعد هذه

المدة تشمر نحوه بالحب ذاته، فسيسمحان لهما بإعلان الخطوبة.. مع اقتناعهما الثابت بأن غيرلي ستتخلص حتى ذلك الوقت من تعلقها به.

وافقت غيرلي على هذا باستعداد كامل، فقد كانت تعرف أن كورت يحتاج إلى وقت ليركز جهده على دراسته مع أن الابتعاد عنه كان نوعاً من الألم المر الحلو.. ومع مرور الأشهر كانت تشطب كل يوم يمر على الروزنامة متشوقة إلى مرور الوقت.. في اليوم الذي تلا آخر امتحان له، استقلت القطار إلى أوكسفورد، وكان ينتظرها في المحطة. بدا لها رائعاً جداً.. طويلاً ونحيلاً بطريقة تليق به، ينسدل شعره الكثيف البني إلى الأمام فوق جبينه وعيناه الزرقاوان مضيئتان وهو يركض لملاقاتها.

احتضنا بعضهما غير آبهين بالركاب الذين كانوا يمرون بهما.. رفعها كورت إلى الأعلى ودار بها يقول مهتاجاً:

ـ احزري ماذا..؟ لقد عرضت علي وظيفة!

ـ وظيفة! أوه.. كورت.. هذا رائع. الآن لن يستطيع أبي أن يعترض على زواجنا. أي نوع من الوظائف؟ ومتى ستبدأ؟

ضحك وأنزلها.. أمسك يدها وبدأ يستعجلها للمسير.

ـ تعالي.. دعينا نجد مكاناً نأكل فيه.. وسأقول لك كل شيء.

وجدا مقهى قريب. وهما يشربان القهوة قال لها:

ـ إنه عمل لدى شركة مقاولات عالمية.. لقد عرضوا عليّ وظيفة صغيرة، لكن على الأقل ستوصلني فيما بعد إلى ما أريده.

أضاف متحمساً:

ـ ذهبت لإجراء مقابلة في الشهر الماضي، وعرفت هذا الأسبوع أنني مقبول.. لديهم مواقع بناء في كل أرجاء العالم.

لمعت عيناه بشوق:

ـ فكري فقط.. يمكن أن يرسلوني إلى أميركا الجنوبية لسنة، وإلى أفريقيا في السنة التالية.

اتسعت عينا غيرلي ذعراً:

ـ ستتمكن من أخذي معك.. أليس كذلك؟

بدأ يقطب وقال متجهماً ببطء: حسناً.. أخشى..

مدت يدها تمسك يده بخوف، وكادت توقع فنجان قهوتها:

ـ أوه.. كورت.. لا يمكنك السفر بدوني.. أرجوك.. أرجوك، قل إنك لن تسافر بدوني!

لان وجهه وابتسم لها ابتسامة لا يبتسمها لغيرها.

ـ حمقاء.. كنت أمازحك.. بالطبع أستطيع أخذك معي. كان هذا أحد الأمور الأولى التي سألت عنها.

ارتجفت غيرلي ارتياحاً.

ـ لا تمازحني هكذا مرة أخرى كورت.. عدني ألا تفعل! لا أستطيع التحمل!

رفع إصبعه ليمسح دمعة ظهرت على خدها.. وقال بنعومة:

ـ أيتها الحساسة السخيفة الصغيرة.. ألا تعرفين أنني لن أتركك أبداً؟

أتت تلك الذكرى بابتسامة خشنة إلى وجه غيرلي.. يا لكثرة الوعود!.. فقد تركها بعد وقت قصير.

أدركت متأخرة أن الأمر كله كان غلطة والديها.. عندما علما بوظيفة كورت رفضا رفضاً قاطعاً أن يسمحا لها بالزواج والسفر متنقلة حول العالم هائمة على وجهها كما وصفا الأمر، فهما لم يربيا ابنتهما لتعيش بين عمال غرباء في موقع بناء بدائي. حين قالت غيرلي بعناد إنها ستذهب معه في جميع الأحوال، أشارا إلى أنها لا زالت تحت سن

الثامنة عشرة ولن تستطيع الزواج بدون موافقتهما.. وكان هناك دموع واتهامات وفورات غضب. في النهاية توصلوا إلى اتفاق بعد أن هددت غيرلي بترك المنزل إذا لم يسمحا لهما بالزواج فوراً. هكذا وافقا على زواجهما شريطة أن يتخلى كورت عن العمل مع شركة المقاولات، ويعمل في شركة أبيها في وظيفة مكتبية.

كان الاقتراح معاكساً تماماً لرغبتهما. لكن والد غيرلي أقنع كورت أن ابنته فتاة رقيقة رفيعة التربية، ولن تتمكن من تحمل قساوة العيش في أجواء غريبة.. وأنه إذا كان يحبها فلن يطلب منها مثل هذه التضحية.. وكان والدها مقتنعاً جداً، وكورت شاب صغير وغير واثق من نفسه بحيث أنه وافق على التخلي عن طموحه والقبول بالعمل مع والدها.. ولكي يستغل الفرصة لم يتوان السيد هيسون عن الإشارة إلى أن كورت ليس في مركز يتيح له توفير منزل محترم لغيرلي التي لا يمكن أن يتوقع أحد منها العيش في شقة صغيرة.. وأن من المعقل أن يعيشا مع أسرتها في المنزل العائلي ريثما يحين الوقت الذي يتمكن فيه كورت من تحمل شراء منزل خاص.

هكذا شعر كورت أنه أقل شأناً وخجل من أصله العائلي المجهول وقلة ماله فقبل على مضض.. لكن غيرلي حين عرفت، أحست بطعنة خيبة أمل.. كان من الأفضل لها أن تعيش خارج البلاد، وأن يكون لها منزل خاص تعيش فيه. لكن كل ما كان يهمها حقاً هو أنها ستتزوج كورت حالاً، وما إن يتزوجا حتى يسير كل شيء على ما يرام لأنهما سيكونان معاً.

كان حفل عرسهما ضخماً رائعاً أصر عليه والداها ودفعا تكاليفه. وذهبا إلى شهر عسل في فيللا في إسبانيا أعارتها لهما عمتها.. قضيا فيها وقتاً ممتعاً ترك في نفسها ذكريات دائمة من الحب والسعادة، وسط

عالم جميل يخصهما لوحدهما.

بدأت حملة والديها للفصل بينهما لحظة رجعا.. وكانت حملة ماكرة خبيثة بالطبع نفذت بطريقة مهذبة جداً بحيث أن غيرلي لم تع ما كان يجري إلى أن فات الأوان.. كانت أمها لطيفة بشكل لا يصدق مع كورت.. لكنها تركته يفهم أنه ليس واحداً منهم وأن تصرفه الاجتماعي غير مرغوب فيه.. وفعلت ذلك في جمل كانت تبدأ: «أنا واثقة أنك لا تمانع في أن أنصحك.. لكن».. أو «نحن لا نفعل هذا بهذه الطريقة كورتيس» بينما في العمل كان يعامل كساع «صبي مكتب» بدون إعطاء فرصة لاستخدام ذكائه أو التدرب على الإدارة. كما أنه كان كذلك في موقع مكروه من قبل زملائه الموظفين لكونه صهر رب العمل.. في وقت كان من هم في مركز الإدارة يغارون منه لاعتقادهم أنه يسعى وراء وظيفة أحدهم.

لا شك أن كورت كان تعيساً لكنه لم يقل شيئاً لغيرلي، كان يتعلم بسرعة.. في البداية كانت غيرلي سعيدة حتى أنها لم تلاحظ شيئاً. لكن بعد ذلك بدأت حياتهما الزوجية التي كانت رائعة، تتأثر.. وكانت البداية في صبيحة يوم أثناء الفطور، حين تذمرت أمها بأدب طبعاً من الصوت الذي صدر عنهما وقت النوم، عندما راح كورت يلاحق غيرلي في غرفتهما ممازحاً..

منذ تلك اللحظة، بدأ كورت يفقد شيئاً فشيئاً المرح العفوي وبهجة الحياة اللذين كانت تحبهما فيه، وأخذ يتوسل أن يتركا منزل أهلها ويجدا لهما شقة في مكان ما.. وكانت كلماته ملحة، يائسة. لكن غيرلي، العمياء تماماً عما يمر به، لم تتمكن من فهم سبب رغبته في ترك منزل مريح إلى شقة صغيرة خاصة وهي تمضي وقتاً رائعاً في تعريف زوجها إلى كل صديقاتها. فقد كانا يدعيان دائماً إلى الحفلات،

الرقص، وحفلات الشواء.. وانغمست غيرلي في متعة أنها لم تعد فتاة مدرسة إنما أصبحت امرأة متزوجة قادرة على فعل ما تشاء.

وتغير كورت نحوها، أخذ يعاملها ببرود مهذب كما يعامل والديها وكأنه مجرد مستأجر لغرفة نوم في المنزل، وليس فرداً من العائلة. وكان يعاشرها في أوقات متباعدة حين يكون والداها في الخارج، إلى أن توقف هذا في النهاية.

بدأت الشجارات منذ ذلك الوقت.. ولم تتمكن غيرلي من فهم سبب تبدله الكلي في وقت كان يظهر لها الحب والشوق والتطلب خلال شهر عسلهما.. وأحس كورت بالمرارة والامتعاض لقلة فهمها. في البداية كانا يتصالحان بسرعة بعد كل شجار.. غيرلي باكية غاضبة، وكورت لطيف محب.. لكن الأمور كانت تزداد سوءاً.. وأصبح الشجار أكثر ضراوة، والإهانات بغيضة مؤلمة.

جرى آخر شجار بعد ستة أشهر من زواجهما.. كان كورت قد حاول إرضاء أمها بقضاء نهاية الأسبوع وهو يزين لها غرفتها. ثم جاء إلى المنزل من المكتب في اليوم التالي ليجد عاملاً مستأجراً يغير ديكورها والأم تقف مع صديقة لها تضحك من عمل كورت التافه الأخرق. فطلب من غيرلي أن تبدأ بتوضيب حقائبها معلناً أنهما سيغادران المنزل، لكنها كانت لا تزال صغيرة جداً بدون خبرة وقالت له إنه غبي.. ودار شجار رهيب كل منهما يرمي الآخر بالإساءة والإهانات.. وطالبها كورت أن تختار بينه وبين أبويها، فرفضت وصاحت في وجهه أنه أناني وأحمق.

أضافت صارخة في وجهه:

ـ علاوة على هذا أنت لست برجل!

كان في اتهامها كل ألم وبؤس الليالي التي نام فيها بارداً إلى

جانبها، وبدا أن شيئاً ما تنجر داخل كورت. فقفز إليها وأمسك بها يجرها إلى السرير. ورأت غيرلي نظرة الإجرام في عينيه فبدأت تقاوم، لكنه تغلب عليها بوحشية لم يظهرها من قبل ورماها على الفراش.. صرخت غيرلي، لكن والديها كانا قد خرجا للعشاء.. ولا أحد يسمع صراخها.

قال لها بصوت مهتز غضباً وانفعالاً من بين أسنانه المشدودة:

ـ أيتها الساقطة! سأريك ما إذا كنت رجلاً أم عاجزاً!

واستغل جسمها بدون حب أو عطف كوسيلة انتقام من كل العقوبات التي تلقاها على يد أبويها...

فيما بعد، سحبت الغطاء لتستر نفسها واستلقت في الفراش تبكي، بينما حزم أغراضه وخرج من الغرفة ومن حياتها.. جلست في السرير تناديه، لكن الوقت كان قد فات، وكان كورت قد ذهب ورحل.

انتظرته يومها.. انتظرت ستة أسابيع طويلة متجهمة.. وبدأت تقنعها بأنه يحبها بما يكفي ليتصل بها أو يأتي إليها تتلاشى بالتدريج مع مرور الزمن.. وأحست أنها كبرت خلال الستة أسابيع تلك وتبدلت من فتاة تعيش في حلم جميل إلى امرأة تواجه وقائع خشنة من الهجر والوحدة. في النهاية، وعت تماماً ما فعله أبواها، فتركت منزلهما إلى الأبد واتهماها حينها بالجحود وقسوة القلب، وقالا لها إنهما لا يريدان رؤيتها مجدداً وهذا ما كانت تفضله.. لقد انفصلت عنهما تماماً ولا تعرف أين يعيشان الآن بعد انتقالهما من المنزل العائلي.. وبدأت بثبات بناء حياة جديدة لها، وعادت إلى اسمها الأصلي تعيش في غرفة مؤجرة من بيت قديم متداع بينما كانت تحاول الحصول على عمل.. أي عمل. وذهبت إلى مدرسة ليلية لتدرس الصحافة، كان الأمر صعباً في البداية.. ولطالما ظنت نفسها غير قادرة على النجاح.. لكن نزعة

العناد التي جعلتها تقاتل لتتزوج كورت حملتها على متابعة الطريق إلى آخره، وشيئاً فشيئاً استطاعت أن تتغلب على العزلة والوحدة والإرهاق المستمر من جراء الجوع الذي كانت تقع تحت وطأته حين ينفد المال القليل الذي كانت تكسبه.

في تلك المرحلة، جاء دارن إلى حياتها التي بدت فجأة تستحق العيش بسبب وجوه اثنين يقاتلان معاً في سبيلها.

جعلها التفكير في دارن تتذكر كيف بدا عندما تركته في الصباح السابق وهو يستيقظ من نومه بشعره المشعث ليضمها بقوة ويقبل رأسها مودعاً. كانت عيناه الطويلتا الرموش مفعمتين بالحب.. رفرفت غيرلي عينيها بسرعة وهي تشعر بالأسى لاضطرارها إلى الابتعاد عنه بسبب تنفيذها لمهمة في الخارج.

تنهدت.. ثم هزت كتفيها مستسلمة.. تعي مرة أخرى ما يحيط بها مع تقدم أحد السقاة ليضع آنية زجاجية فيها شمعة على الطاولة. كان الظلام قد حل الآن، فالشمس غربت تماماً وهي مستغرقة في أعماق ذكرياتها. أضيئت المصابيح على طول رصيف الميناء.. وفي البحر كانت ترى أنوار المراكب المربوطة في المرفأ.

وهي تنظر إلى المراكب، لاحظت الرجل الذي أجفلها في وقت مبكر يخرج إلى السطح مجدداً ثم يستدير ليقفز إلى الرصيف برشاقة ويسير بتكاسل نحو التراثيرنا.. وأثناء اقترابه من أنوار المصابيح الكهربائية رأته بوضوح أكثر.. كان يزيد طولاً عن الستة وخمس وثمانين سنتمتراً، ذات طول كورت.. لكن كتفاه أعرض بكثير.. وتُبرز عضلاته وصدره القوي كتزة كحلية كان يرتديها، وبداء ملسوستان بطريقة عفوية في جيبي بنطلونه الجينز.. كان واثقاً جداً من نفسه، يمشي مرفوع الهامة بجو المسيطر الآمر المعتد بنفسه، الأمر

الذي لم يكن كورت يملكه البتة. وكأنه معتاد على إصدار الأوامر وعلى أن تطاع أوامره.. مر الرجل بفسحة معتمة إلى أن وصل إلى ضوء المصباح التالي ورأت غيرلي وجهه الآن جيداً وهو ينظر نحو التراثيرنا.. كان شعر الرجل كثيفاً قاتماً وقد هبطت خصلة منه فوق جبينه قليلاً. أخذ يتسلق درج التراثيرنا ثم وقف في المدخل وراح ينظر حوله. كان شديد السمرة وكأنه يعيش في جو مشمس منذ وقت طويل.. في حوالي الثلاثين، وجهه قوي جداً وفكه مربع الشكل.. وآثار جرح على صدغه الأيسر يصل إلى حاجبه ويعطيه مظهراً شيطانياً.. فمه رقيق، بالتواء ساخر، وهناك نظرة تحفظ في عينيه، عينان زرقاوان مذهلتان كزرقة سماء صيفية.

تتقدم إلى الأمام ليقف أمام طاولتها. ومن الصورة التي لا تزال تذكرها للشاب الذي تزوجته، عرفت أنه كورتيس.. وقال الرجل بهدوء:

ـ مرحباً.. غيرلي.. كيف حالك؟

* * *

٢ ـ مجرد حنين

تمكنت غيرلي من رد تحيته بالهدوء عينه تقريباً فقد أوقعتها الصدمة المفاجئة في حالة من الذعر..

ـ مرحباً كورت.. أنا بخير.. وأنت؟

قبل أن يرد، أردفت بابتسامة صغيرة:

ـ لكنني لست بحاجة أن أسأل.. أليس كذلك؟ تبدو بصحة جيدة.

رفع حاجبه الأيسر وكأنما أدهشه عدم ردة فعلها، ثم أحنى رأسه قليلاً معترفاً بصحة كلامها وأخرج يده من جيبه يضعها على ظهر الكرسي المقابل لها.

ـ هل لي أن أنضم إليك؟

ـ طبعاً.

جلس يحجب عنها رؤية البحر.

أخذ يتفرس فيها للحظات جيداً، ثم جاء الساقي فأبعد نظره إلى البعيد:

ـ أترغبين في تناول مشروب؟

لم تكن غيرلي راغبة في شرب شيء معه.. أرادت أن تهرب إلى غرفتها، تقفل الباب عليها وتختبىء.. لكنها تمكنت من هز كتفيها والقول دونما اكتراث:

ـ ولمَ لا؟ كوكتيل فاكهة مع الصودا أرجوك.

ـ شراب رفيع التكلف.

ردت بحدة وبلهجة قاسية:

ـ أنا الآن امرأة ناضجة، ولم أعد فتاة مدرسة.

ارتفعت العينان الزرقاوان لتلتقيا عينيها: هذا ما أراه.. لقد تغيرت.

هزت رأسها: وأنت كذلك.. لقد عرفتك بصعوبة..

ازداد عمق الالتواء الساخر لفمه.. ومرر عينيه على وجهها متفحصاً تقاسيمه بتأنٍ مما جعلها تشعر وكأنها عارية أمامه ومعرضة للخطر.

ـ ليس هذا ما عنيته بالضبط.. أنا سأتعرف عليك دائماً.. فأنت تبدين كما أتذكرك آخر مرة رأيتك فيها.

سرت غيرلي للعتمة النسبية التي أخفت احمرار خديها وهي تتذكر ظروف آخر لقاء، وقالت بسخرية دفاعية:

ـ قد نقول إذن إن السنوات السبع ليست مدة طويلة.

نظر إليها بسرعة وبدا على وشك الرد، لكن الساقي عاد إلى الظهور فأخذ كوبه وأسند نفسه إلى الوراء يضع ساقاً فوق ساقٍ بشكل عفوي ويقول بلهجة هادئة:

ـ ماذا جاء بك إلى كينوس؟

ردت باختصار: العمل.

لأنه بقي منتظراً وحاجبه مرفوع تساؤلاً أضافت: أنا في مهمة عمل هنا.

ـ مهمة؟

ـ لصحيفة، أنا أعمل في الصحافة.

دهشت حين هز رأسه بدون أن يبدو عليه أي ردة فعل فأضافت

تسأل:

- وأنت؟ ماذا تفعل هنا؟

أشار إلى المركب:

- أوه.. رحلتي للمرح فقط.. لقد استأجرت هذا اليخت لأرحل بحراً في الجزر اليونانية، أتوقف حيث يحلو لي.

أحست غيرلي بالتشتت وكأن الجالسة هنا تتحدث مع كورت بأدب ليست هي حقاً..

- هذا أمر لطيف.

التقطت كأسها ترتشف منه.. فجأة بدأت يدها ترتجف حتى كادت تسكب العصير من الكأس فوضعته من يدها بسرعة، وأنزلت يديها تحت الطاولة تضمهما معاً.. لقد زال الخدر الآن وبدأ قلبها يضرب في صدرها من جديد.. ماذا تفعل هنا.. تشرب وتتبادل الحديث التافه مع رجل تخلى عنها، ولم يكلف نفسه عناء معرفة هل ما زالت حية أم لا..؟

قالت بصوت متهدج: هل أنت هنا منذ مدة طويلة؟

لم يبدُ أن كورت لاحظ شيئاً من اضطرابها.

- لا.. ليس من وقت طويل. أنا لم أرك هنا من قبل، وبما أن هذا هو المكان الوحيد هنا للإقامة، أعتقد أنك وصلت اليوم؟

- أجل.. في مركب بعد الظهر.

ثم استجمعت شجاعتها لتطرح سؤالاً مهماً:

- أتوقع إذن أن ترحل من هنا قريباً؟

- ليس لدي خطط محددة.. قد أبقى هنا لفترة.

- هكذا إذن.

ارتفع حاجباه: بقائي هنا لا يزعجك.. أليس كذلك؟

ضحكت غيرلي بخشونة:

- ولماذا يزعجني؟ أنت لا تعني لي شيئاً الآن.

فجأة أصبحت عيناه الزرقاوان كقطعتي جليد وهما تلتقيان بعينيها الرماديتين.

- وهل عنيت يوماً أي شيء لك؟

تسمرت عيناها للحظات طويلة على وجهه، ثم أحست أنها غير قادرة على تحمل الموقف فوقفت تقول باستعجال:

- أنا متعبة جداً من الرحلة.. يجب أن تعذرني.. عمت مساء.

وقف كورت وارتد قليلاً ليسمح لها بالمرور.. لامست ذراعها ذراعه وهي تمر به فأحست كأن صدمة كهربائية سرت في جسدها وسببت التوتر والقشعريرة لكل عصب فيه.. رد عليها متمنياً لها ليلة سعيدة، لكن غيرلي أبقت رأسها محنياً وهي تسرع نزولاً على الدرج الخارجي الموصل إلى غرفتها، ولم تتوقف إلى أن أقفلت الباب بإحكام. ثم تهاوت على السرير وجسمها كله ينتفض بدون أن تقدر على التحكم به وكأنها مصابة بحمى باردة.

لم تزعج نفسها بإضاءة النور؛ واستلقت لفترة طويلة في العتمة تحتضن نفسها في محاولة لإيقاف الارتجاف العنيف الذي أخذ يتلاشى بالتدريج.. تناهى إلى غرفتها أصوات أشخاص يتحدثون ويضحكون ثم تصاعد صوت موسيقى البوزوكي.. نهضت من سريرها ببطء وتقدمت تقف قرب النافذة تدفع المصاريع الخشبية بلطف لتفتحها كي تنظر إلى الخارج. كانت أنوار مراكب الصيد بعيدة في عرض البحر.. نظرت بتردد إلى الأسفل تتساءل ما إذا كان كورت لا زال هناك.. لكن عريشة العنب كانت تغطي المساحة كلها تقريباً.. رفعت نظرها تبحث عن مركبه بين المراكب الراسية في الميناء.. لكن كان من الصعب

التفريق بينها في الظلام.

تراجعت إلى غرفتها لتستند إلى الجدار. لماذا يجب أن يكون كورت هنا؟ لماذا؟ لطالما تصورت هذه اللحظة.. ولطالما انتابتها الكوابيس بخصوصها لسنوات.. لقد عرفت أنها في النهاية ستحدث.. لكنها لم تفكر أبداً أنها قد تكون هكذا.. صدفة، وفي بلد أجنبي. تصورت دائماً أن اللقاء سيكون في محكمة أو في مكتب محاماة وأنه سيكون لديها الوقت الكافي لتحضير نفسها لتتمكن من التعامل مع الموقف.. لكن.. هذا.. لقد صدمها بشدة أكثر مما تريد أن تعترف.. وحطم القوقعة القاسية التي بنتها حول نفسها خلال السنوات الفائتة.. يجب عليها أن تعيد السيطرة تماماً على نفسها قبل مواجهته مجدداً.

ارتجفت فراحت تدعك ذراعيها بيديها وتذرع أرض الغرفة الصغيرة.. كانت تعلم أنها ستراه مجدداً حتماً فكينوس مكان صغير جداً وميلميا البلدة الوحيدة فيها، وطبيعي أن يلتقي كل من يقيم فيها بالمقيمين الآخرين عشرات المرات يومياً.. ابتسمت غيرلي تسخر من نفسها ومن القدر الساخر الذي جاء به إلى كينوس في الوقت الذي هي فيه هنا، ولن يتركها بسهولة.. ستخترق السكين حتماً أعماقها قبل أن يتركها.

أغلقت النوافذ الخشبية وأضاءت النور ثم بدأت تخلع ملابسها ببطء استعداداً للنوم مع أنها تعرف أن وقتاً طويلاً سيمر قبل أن تتمكن من الإغفاء.. وعادت أفكارها إلى دارن الذي ينتظرها في انكلترا.. وبدأت فوراً في مقارنته مع كورت بما أن وجهيهما كانا يطاردان بعضهما في أفكارها وانحدرت دمعة بطيئة على خدها فمسحتها بغضب.. فهي لم تبك كورت منذ زمن بعيد ولا تنوي أن تفعل هذا الآن

لمجرد ظهوره مرة أخرى في حياتها.. وماذا هناك لتبكيه؟ يجب أن تكون سعيدة لفرصة مشاهدته مرة أخرى ومعرفة أنها تخلصت من تأثيره إلى الأبد. والدموع؟ إنها مجرد حنين إلى فترة قصيرة من السعادة حين كانت صغيرة وحمقاء بشكل لا يصدق. لكن يجب أن تكون حذرة جداً حتى لا تذكر دارن له، فتلك العلاقة أثمن من أن يعرفها الرجل الذي عاش معها فترة كزوج لها.

بدأت الأصوات الآتية من التراثيرنا في الأسفل تتلاشى إلى أن ساد الهدوء. ونامت البلدة بسلام، بينما كانت غيرلي لا تزال تتقلب بغير ارتياح فوق الفراش الغريب القاسي تفكر في طريقة مثالية لتتعامل مع رؤية كورت مرة أخرى. وقبل أن تغفو، فكّرت أنه يبدو مختلفاً جداً.. وأنه تغير كثيراً.

تسللت أشعة الشمس عبر المصاريع الخشبية في الصباح التالي، ترسل خيوطها الذهبية فوق السرير والأرض.. فرفرفت غيرلي جفنيها وأدارت رأسها بعيداً.. كان تفكيرها لا زال ضائعاً في ضباب اللاوعي لا تعي أين هي، تظن نفسها في السرير الكبير في منزلها في الوطن وتنتظر أن يوقظها دارن كعادته كل صباح.. فتحت عينيها لتستوعب السقف الأبيض والجدران الخشنة المطلية باللون الأزرق كلون عيني كورت..

على الفور استيقظت تماماً.. ترتجف وتعي ما حولها بالضبط.

لزمها الكثير من الشجاعة لترك غرفتها ذلك الصباح.. لكنها ركضت بتصميم تنزل الدرج إلى الأسفل لتجد ألا داعي لقلقها إذ كان مركب كورت قد اختفى من مرساه.. وغمرها الارتياح.. لا بد أنه قرر السفر عوضاً عن البقاء لنبش الذكريات القديمة.. لكن، وهي تصعد الدرجات مجدداً، رأت مركبه يعود إلى الميناء وخمنت أنه قد يكون

خرج ليصطاد.

جاءها صاحب النزل بنفسه بالفطور المكون من الخبز الطازج والقهوة.. واغتنمت الفرصة لتحجز مكالمتين إلى انكلترا.. وأمضت غيرلي الوقت تستكشف المحلات القريبة وما تحتويه من أشياء يونانية تقليدية كان معظمها من صنع محلي صنعه سكان الجزيرة في أوقات فراغهم.. ثم اشترت قبعة قش لتحمي شعرها من أشعة الشمس الحارة التي قد تضربه وتحوله إلى أبيض فضي كما حدث معها مرة..

عادت إلى النزل في الساعة العاشرة وجلست إلى طاولة تتناول شراباً بارداً إلى أن ناداها لوكا بيتراكيس لتأخذ أول مخابرة لها.

حياها الصوت المألوف لرئيس تحرير المقالات الخاصة ثم بدأ في بحث العمل فوراً:

ـ لا زلنا لا نعرف موعداً محدداً لتلك المقابلة مع شون بوشاري، غيرلي.. كما تعلمين، نحن ننتظر اتصالاً من أحد موظفيه وهو الذي سيدبر لنا ذلك الموعد، آخر خبر وصلنا هو أن بوشاري على وشك الموافقة، لذا إبقي جاهزة لتصلي إليه بسرعة فنحن لا نريده أن يغير رأيه.. تأخذ المسألة منا الكثير من الملاحقة والرشوة لنصل، هل تدبرت أمر مكان تقيمين فيه؟

ـ أجل.. في «تراثيرنا هيليوس».

وأعطته رقم الهاتف.

ـ حسن جداً.. من الأفضل أن تبقي على مسافة قريبة من الهاتف اليوم، لكنني سأتصل بك في الخامسة مساء على أي حال بتوقيتنا، لإعطائك آخر المعلومات.. لن أستطيع تركك تجلسين بفخامة من دون عمل لمدة طويلة وإلا سيلاحقني رئيس التحرير العام.

ضحكت غيرلي:

ـ إذا كنت تسمي هذا فخامة فلا تعطني أي مهمة إلى أمكنة أقل شأناً.

وضعت السماعة وابتعدت عن ظل المبنى البارد لتجلس تحت أشعة الشمس بانتظار المكالمة التالية.. المكالمة المهمة لها حقاً.. مكالمة إلى دارن.. أوه.. دارن؟ امتدت أفكارها إليه كالغريق الذي يمد يده ليتعلق بحبل النجاة.. إنه علة وجودها وحياتها.. لولاه لكانت انهارت منذ زمن بعيد.. إنها بحاجة إليه.. بحاجة إلى الطمأنينة في معرفة أنه موجود وينتظرها كمحور لحياته، فتلك الطمأنينة وحدها هي التي تعطيها الشجاعة والثبات لتواجه كورت ثانية.

رن جرس الهاتف يقطع صوته الحاد الجو الساكن، ووصلت غيرلي إليه قبل أن يصله لوكا.. وتكلم باليونانية مع المركز، ثم ابتسم لغيرلي:

ـ إنها مخابرة لك..

وأعطاها السماعة.

ـ دارن؟

لكنها كانت السيدة فيدرس مديرة المنزل، واضطرت إلى الانتظار مجدداً ريثما يصل دارن.

ـ مامي!

وصلها صوت صبي الست سنوات حاداً:

ـ أنا أحفر حفرة في الحديقة كي تأتي الأرانب وتعيش فيها.. أيمكن أن أحصل على أرنب.. أرجوك! حالما تعودين إلى المنزل؟

ـ وماذا عن فئران التجارب البيضاء التي لديك؟

لكن احتجاجها لم يكن له جدوى، وتعرف أنها ستستسلم لرغباته.. ومضى يثرثر، يبلغها عن يومه في المدرسة بالأمس، عن كل

الأشياء الصغيرة التي لها الأهمية العظمى في حياته اليافعة، فجأة تلاشى كل قلق غيرلي فقد كانت محقة حين قالت لكورت إنه لا شيء بالنسبة لها الآن.. فابنه الذي لا يعرف بوجوده قد أخذ مكانه تماماً.

غمرتها السعادة وهي تتكلم.. لقد تخلصت من الشبح أخيراً وهي على استعداد لمواجهة كورت كرجل عرفته يوماً إنما ما عاد يهمها.

أغوتها الشمس بعد المكالمة، فسارعت إلى غرفتها تغير ملابسها لترتدي بذلة سباحة وهي تدندن لحناً بهيجاً. ثم تقدمت إلى المرآة تضع على بشرتها زيتاً واقياً من الشمس وتجدد أحمر شفاهها.. أزعجها أن ترى الظلال السوداء حول عينيها إثر ليلة بدون نوم، فأخرجت نظارة كبيرة مستديرة ووضعتها على أنفها وملأت الحقيبة بأغراض الشاطىء المعتادة ثم خرجت لتجد لنفسها مكاناً هادئاً تحت أشعة الشمس.

وجدت المكان على بعد بضع مئات من الأمتار عن الميناء.. كان هناك زوجان شابان تذكرت أنها رأتهما يتناولان الطعام في التراتيريا ليلة أمس. وعلى مسافة أخرى، تنتشر تحت المظلات مجموعة أشخاص بينهم امرأتان شديدتا السمرة تبدوان من الأثرياء المدللين. ولا شك أن المجموعة كلها تنتمي إلى أحد اليخوت الكبيرة... لكن لم يكن هناك أحد من سكان الجزيرة.. فهم ليسوا بحاجة إلى الشمس.

فرشت غيرلي المنشفة وخلعت فستانها الصيفي تلفه لتصنع منه وسادة، ثم رفعت شعرها تعقصه إلى الوراء قبل التوجه إلى الماء.. جسم طويل، نحيل، وساقان طويلتان جميلتان.. في البداية صدمتها برودة الماء، لكن عندما خاضت إلى الأعماق لفها الدفء وشعرت بالماء ناعماً ومداعباً.. أزرق.. أزرق وصاف، حتى أنها استطاعت أن ترى قدميها في الأسفل وطحلب البحر الداكن المتعلق في الصخور المدفونة تحت الرمل.. راحت تسبح بضربات قوية منتظمة، ذراعاها

تشقان الماء بصفاء.. كانت تشعر بالنشاط والانتعاش، لقد مضى زمن طويل لم تتح لها فرصة للسباحة مع أنها كانت تفعل هذا بانتظام وهي في المدرسة وقد ربحت عدة جوائز حينها.. كان هذا قبل كورت بالطبع. وبعد أن تركها كان لديها دارن لتعتني به.. ولا وقت للسباحة، لا وقت لأي شيء آخر ما عدا العمل والنوم المرهق في نهاية كل يوم.

خرجت من المياه وجففت جسمها ثم استلقت على الرمال مغمضة العينين تفكر بأن عليها إعطاء دارن دروساً في السباحة عندما تعود إلى نيكاترا. إنه كبير بما يكفي الآن.. لقد حملت به خلال آخر شجار لها مع كورت.. يوم عاشرها بقسوة وعنف.. وقد يتصور المرء أن دارن يجب أن يكون ولداً سيء الخلق وغير ودود.. لكنه لم يكن هكذا أبداً.. بل كان ولداً سعيداً طوال اليوم ولا يحزن إلا حينما تضطر أمه إلى تركه.. وهذا ما كان يحدث غالباً فهي لطالما اضطرت إلى تركه مع جليسة للأطفال حين كانت تعمل أو تحضر دروس الصحافة والتصوير. لكنها الآن تتمكن من دفع أجرة مدبرة منزل كبير تحيط به حديقة يلعب فيها وتحاول جهدها حصر مهماتها في مكان قريب.. لكن هذه المهمة وفرصة مقابلة شون بوشاري الغامض كانت لا تقاوم أبداً.

جعلتها حاسة سادسة تستيقظ من أحلامها حالما لاح فوقها ظل.. لقد كانت تحلم.. وعندما التفتت لتنظر حولها وجدت كورت يقف فوقها ويداه على خصره.. أدهشها أن تراه هناك.. وأدركت أن حلمها كان يدور حوله.. جلست بسرعة وأخذت نظارتها وهي تشعر بامتنان عميق لتمكنها من الاختفاء وراء النظارة.

هبط كورت على الرمال إلى جانبها. كان يرتدي تيشيرتاً أزرق وشورتاً مماثلاً.. واستلقى بمد ساقيه البنيتين القويتين إلى جانب ساقيها اللتين أزاحتهما غيرلي على الفور ثم تذكرت قبعة القش

ووضعتها على رأسها تحمي عينيها بظلها.

كان على فم كورت ابتسامة رقيقة وهو يقول:

ـ هل تؤذي الشمس عينيك؟

ردت بهدوء:

ـ أرى أن انعكاسها فوق البحر مبهر.. هل جئت لتسبح؟

مال إلى الخلف يستند إلى مرفقه:

ـ كانت هذه الفكرة.. لكنني تناولت الغداء لتوي.. ويجب ألا أسبح قبل ساعة تقريباً.. هاك لقد جئتك بهدية.

فتش في جيب البنطلون القصير وأخرج تفاحة خضراء قاسية مع مشحة لون أحمر قرب قمتها ومد يده بها.

نظرت غيرلي إليها بدون أن تتحرك.. ثم رفعت عينيها لتجد براقيها ساخراً.. وقال بنعومة ممازحاً:

ـ لن يعضك العقرب لو أخذتها.

مدت يدها تأخذ التفاحة وهي حريصة ألا تدع أصابعها تلامس أصابعه:

ـ كيف عرفت أنني هنا؟

ـ أخبرني لوكا.

رفعت رأسها بسرعة.

ـ هل كان هناك مخابرة هاتفية لي؟

ارتفع حاجباه:

ـ لا.. وهل كنت تتوقعين مكالمة؟

هزت رأسها بصمت وراحت تقضم التفاحة.

ـ وهل لهذا شأن بمهمتك؟

ردت باختصار: شيء كهذا.

ـ أوليس هذا مكاناً غريباً لإرسال صحافية وراء قصة؟

ـ قد يظن بعض الناس هذا.

ـ وهذا يعني أنك لن تخبرني بالأمر.. كما أعتقد؟

ردت ساخرة:

ـ هذا صحيح.. بكلمات أخرى، عليك الاهتمام بشؤونك!

ـ آه.. لا زلت لاذعة كالعادة.. كما أرى.

كان في صوته سخرية باردة.. فرفعت رأسها بحدة، وتشابكت نظراتهما للحظة طويلة إلى أن أشاحت هي بوجهها ورفعت ركبتيها تسند ذقنها عليهما.

أخرج كورت علبة سكائر من جيب قميصه وأشعل لفافة.. بينما حفرت غيرلي حفرة ودفنت ما تبقى من التفاحة.

جلسا بصمت لفترة كل منهما غارق في أفكاره.. لكن سرعان ما أظهر كورت كم كانت أفكاره تسير في خط قريب جداً من أفكارها، بأن قال فجأة:

ـ لماذا لم تطلبي الطلاق؟

التقطت حفنة رمال وتركتها تنساب من بين أصابعها، ثم سألت في المقابل:

ـ ولماذا لم تطلبه أنت؟

أدهشها بضحكته التي رن صوتها في الخليج واسترعت اهتمام مجموعة اليخت.

ـ تجيب المرأة المثالية على سؤال بسؤال.. ولم أعرف حتى الآن امرأة تعطي رداً مباشراً على سؤال مباشر.

توقفت عن اللعب بالرمال ورفعت رأسها تنظر إليه:

ـ يبدو كأنك عرفت الكثير من النساء.

برز فكه إلى الأمام:

- وهل توقعت مني أن أعيش كالراهب لمجرد أنني لا زلت قانونياً متزوجاً منك؟

نظرت إليه لحظات مجفلة من عنفه. ثم نظرت بعيداً.. تقول بتصلب:

- أنا في الواقع لم أفكر في هذا.

مر بهما في تلك اللحظات رجال من مجموعة اليخت متجهين إلى البحر ليسبحوا.. خلع كورت قميصه لكنه لم يحاول النزول ليسبح.. بدا قوياً جداً، صدره عريض مفتول العضلات.. لكن خصره في بنطلون الجينز القصير القديم كان يبدو نحيلاً، رياضياً، وكأنه يمارس التمارين كثيراً.. رفع نظره ليضبطها تراقبه.. فسارعت تقول:

- تبدو شديد السمرة.. لا بد أنك كنت تبحر حول الجزر اليونانية منذ وقت طويل.

هز رأسه نفياً وقال:

- لا.. جئت إلى اليونان منذ فترة قصيرة.. لقد اكتسبت هذا اللون في أوستراليا وأنا أعمل هناك.

- وهل تعيش في أوستراليا؟

- لا.. بقيت هناك سنتين أشرف على بناء جسر.. قبلها كنت في أفريقيا أعمل على بناء سد.

- إذن، لقد توصلت إلى تحقيق طموحك وأصبحت مهندساً مدنياً.. بعد كل شيء؟

- أجل.. لقد تمكنت من إقناع الشركة التي عرضت علي العمل قديماً أن تقبل بي بعد.. بعد أن انفصلنا.

ضحكت غيرلي ضحكة قصيرة:

- دعنا نتفاهم على هذا.. أيمكن؟ أنت تعني بعد أن تخليت عني.

أطفأ كورت سيكارته بقسوة ومال نحوها:

- لا.. دعينا حقاً نتفاهم على هذا.. لقد عرضت عليك الفرصة ألا تذكرين؟ والداك أو أنا.. ولقد قمت بالاختيار.. بالنسبة لي أنت التي اخترت الهجر.. وليس أنا!

- حقاً!

وفتحت فمها لتجادل لكن أوقفتها ضحكة حادة مرتفعة صادرة من خلفهما.. نظر كورت إلى الوراء ثم رأت غيرلي أن حاجبيه يرتفعان ويتغير تعبير وجهه.. التفتت لترى ما الذي جذب اهتمامه.. كان هناك امرأتان تتشمسان، وكانت الضحكة متعمدة لجذب اهتمام كورت فقد ابتسمت إحداهما له بدعوة مفتوحة ثم وقفت تتقدم نحوهما تسير ببطء. كانت تضع سلاسل ذهبية تتدلى حولها وحول معصميها وكاحليها ورقبتها.. وبدت في منتصف الثلاثينات من عمرها.

تجاهلت المرأة غيرلي تماماً وكأن لا وجود لها، وتوقفت فوق كورت المستلقي إلى الوراء على مرفقه ينظر إليها متكاسلاً عبر جفنين نصف مغمضين.. ثم هبطت على ركبتيها أمامه.. وقالت بلهجة فرنسية لا ريب فيها:

- عذراً.. لكن هل لديك ولاعة.. مسيو؟

ومدت سيكارتها نحوه.

- طبعاً.

جلس كورت يأخذ الولاعة من جيبه ثم أشعلها لها وعيناه تلتقيان عينيها وحاجبه الأيسر يرتفع قليلاً.

وضعت المرأة يديها حول يده وانحنت والسيكارة في فمها، ثم ارتدت تجلس برشاقة على كعبيها وتبتسم له بإشراق.

ـ شكراً لك، مسيو.. ألم أشاهدك على متن مركب في الميناء؟

هز رأسه إيجاباً: هذا صحيح.. لوقليت.

نظرت إليه بإغواء:

ـ نحن كذلك نبحر في عطلة.. مركبنا اسمه كوزيت، يجب أن تأتي لتناول شراب معنا.. مسيو؟

ـ ماكسويل.. كورتيس ماكسويل.

ـ وأنا كليرانس دوبيانس.. يناديني أصدقائي كلير..

رفعت ثقلها بحيث استندت إلى ذراع واحدة، الأقرب إلى كورت طبعاً.

ـ ستأتي لزيارتنا؟..

ـ سأحب هذا.

ـ الليلة إذن.. في الثامنة؟

ـ شكراً لك.

واقيها كورت وهي تنهض لتقف، تلامس ذراعه صدفة وهي تتحرك. والتوى فمه بابتسامة خفيفة ثم قال:

ـ وهل لي أن آتي بزوجتي معي؟

تلاشى للحظات كل إغوائها.. وظهرت الدهشة والغضب على وجهها.. لكنها استعادت رباطة جأشها بسرعة، ونظرت إلى غيرلي مبتسمة بأدب، ابتسامة تلاشت حالما ظهرت.

ـ بكل سرور.. إذا رغبت في هذا.

ثم استدارت، تستعرض منظر ظهرها الجميل التكوين وهي تنضم إلى صديقتها.

نظرت غيرلي إلى الرجال في البحر وقالت دونما اكتراث:

ـ قد يظن المرء أنها مع كل هذه السلاسل الذهبية، يمكن ألا

تحمل ثمن ولاعة.

ابتسم كورت: قطة خبيثة!

وانقلب على مرفقيه يراقب الرجال:

ـ أتساءل من هو الشاذ المسكين المتزوج بها؟

وقفت غيرلي بسرعة وقالت: سأسبح مرة أخرى.

وبدأت السير نحو الماء بدون أن تنظر إليه.. كان في صوته مرارة لاذعة حين نلفظ بآخر تعليق وكأنه يحتقر النساء كلهن.. بدأت تغوص في الماء وهي تشعر بالانزعاج المفاجىء، وتتساءل ما إذا كانت هي سبب إحساسه هذا.. نظرت إلى الوراء لترى أنه بدأ يخلع بنطلونه القصير استعداداً للحاق بها إلى الماء.. ورأته الآن كما رأته المرأة الفرنسية: طويل ووسيم، له جسم قوي جميل متناسق.. رجل تجتذب رجولته البارزة أي امرأة.. أشاحت بنظرها عنه ترمي نفسها في الماء وتبدأ بالسباحة وتفكيرها منصب على الطريقة التي تلفظ بها بكلمة «زوجتي».. كان يرمي فقط إلى إظهار نوع من التكبر على المرأة الأخرى، وتعرف هذا. لكنها جعلتها تتذكر الطريقة التي كان يقولها فيها في أول عهدهما بالزواج.. بفخر وتملك وكأنها أثمن ما في حياته.

فجأة، أصبح إلى جانبها يشق الماء بعضلاته القوية.. تجاهلته وتابعت السباحة إلى جانب الخليج.. وجلست إلى إحدى الصخور.. لكنها سرعان ما أحست بيدي كورت على خصرها ترفعانها خارج الماء لتصبح فوق الصخرة.. وبدفعة واحدة من ذراعه خرج من الماء وانضم إليها وكأنه إله إغريقي ينبثق من تحت الماء والأمواج.

أزعجتها هذه المقارنة وقالت ببرود:

ـ كان يمكن أن أتدبر أمري لوحدي.

نظر إليها وهو يضع يديه على شعره يرفعه عن وجهه.. والتوى فمه لكنه لم يرد. وقف قربها فبدا طويلاً جداً.. أشاحت غيرلي بنظرها عنه وقلبها يخفق بسرعة.. وقالت:

ـ أنت تسبح جيداً جداً الآن.

ـ تمرنت كثيراً في أوستراليا.. كنا نذهب إلى رياضة التزلج على الأمواج كثيراً.

ـ كنا؟

ـ مع بعض الرجال الذين عملت معهم... اعتدنا الذهاب إلى الساحل كل عطلة أسبوع تقريباً.

ـ وهذا ما كنت تفعله فقط؟ ركوب الأمواج؟

التفت ينظر إليها: ماذا تعنين؟

ـ حسناً.. لا بد أنك وجدت بعض الوقت للنساء.

بردت العينان الزرقاوان وأمسك معصمها يشدها لتستدير وتواجهه.

ـ لا تحاولي جعلي أبدو وكأنني مهووس جنسي.. كان لي نساء.. نعم.. وأنوي أن يكون لي الكثير فيما بعد.. ولا تقولي لي إنه لم يكن في حياتك رجال خلال السبع سنوات الماضية؟

انتزعت معصمها منه وردت بغضب:

ـ أنت محق تماماً.. كان هناك رجال في حياتي، العشرات منهم.. وكان أقلهم شأناً أفضل منك بكثير!

وثبت عن الصخرة إلى الماء.. وهي تشعل سمعت ضحكته، ممتلئة، رجولية نزن من خلفها.

وصلت إلى الشاطىء وجففت نفسها بسرعة، وعندما نظرت إلى الصخور رأت أنه لا زال هناك ممدداً تحت الشمس.. دست فستانها

الصيفي فوق رأسها وجمعت أشياءها ثم سارت عائدة إلى النزل..

خرجت إليها المرأة الفرنسية بارتياب وهي تمر بها، وحين وصلت غيرلي إلى الممر المرصوف إلى السماء، رأت أن المرأة غطت شعرها بقبعة مطاطية مزينة بالزهور، وبدأت بالسباحة نحو كورت.

ابتسمت غيرلي بسخرية لنفسها. لا بد أن المرأة مفتونة جداً به لتعود إليه بعد الصد المتعجرف الذي واجهها به.. لكن ربما تظن نفسها ستكون أوفر حظاً الآن وهو لوحده.. ولماذا هي ساخطة هكذا؟ لا يعني لها شيء لو تودد كورت إلى كل النساء في كينوس.. فلا شيء يربطه بهن.. إنهن موجودات فقط ليستغلهن متى أراد.

والاتهام الذي رماه في وجهها؟ تساءلت خطواتها وهي تفكر فيه.. حسن جداً.. لقد التقت رجالاً كثيرين خلال عملها أظهر لها العديد منهم أكثر من اهتمام عابر وأراد بعضهم الوصول إلى نتيجة جادة وإلى تأسيس علاقة دائمة معها.. لكنها قاومت دائماً متذرعة بأنها وعملها إنما في أعماق قلبها كانت دائماً خائفة.. خائفة أن تضع ثقتها وحبها في رجل آخر يخذلها من جديد.. وهكذا وجدت من الأفضل المضي في الحياة لوحدها من دون حب بدلاً من مواجهة هذا الواقع الصعب.. وهذا هو السبب الرئيسي لعدم اهتمامها أبداً بطلب الطلاق إذ يمكنها استغلال زواجها كعذر للابتعاد عن كل علاقة تهدد بأن تتحول إلى الجد.. والتوى فمها سخرية. هل استخدم كورت كذلك هذه الوسيلة لتجنب التورط مع النساء؟

بعد غداء خفيف في التراقيرنا، أمضت غيرلي فترة بعد الظهر في غرفتها ترتاح وتعمل على تحضير الأسئلة التي ستطرحها على شون بوشاري، هذا إذا تمكنت من رؤيته.. فهناك إمكانية كبرى أن يأخذ الوسيط المال بدون الوصول إلى نتيجة، لكنها في الوقت الحاضر لا

تعرف حتى اسم الرجل الوسيط. كل ما تعرفه أنه سيتصل بالصحيفة ليقول لهم أين يمكنها الاتصال به.. وهو من أصر على إرسال صحافية للمقابلة.. لماذا.. لا تعرف.. لكن تستطيع التخمين بأن شون بوشاري هو الذي يحدد هذا مع أنها تجد السبب غامضاً، إذ لديه القدرة على طلب العديد من النساء الجميلات كيفما يشاء إلى جزيرته ولسوف يأتين ركضاً.

تقدمت إلى النافذة تنظر إلى الشكل القاتم للجزيرة البعيدة في الأفق، تتساءل كم من الوقت ستنتظر قبل أن تجري الاتصال.. لفتت نظرها حركة على رصيف الميناء، فنظرت لترى كورت يتجه إلى مركبه. تراجعت على الفور إلى الوراء، لكنه رفع رأسه وشاهدها فلوح بيده في تحية ساخرة قبل أن يقفز إلى المركب ويدخل إليه.

أحست غيرلي برغبة محمومة مفاجئة في أن تنتهي هذه المهمة بسرعة.. وأن تتمكن من مقابلة شون بوشاري، ثم تعود إلى موطنها على متن أول وأسرع طائرة أو سفينة متوفرة.

* * *

٣ ـ البحر أمامها والموت وراءها!

وصلت المخابرة الهاتفية التي كانت غيرلي تنتظرها في الخامسة من ذلك المساء.. وكان صوت رئيس تحرير المقالات الخاصة متوتراً.

ـ لقد تم كل شيء غيرلي.. اتصل وجلنا بنا عبر مراسلنا في أثينا.. وأعلمناه بمكان إقامتك وسيتصل بك هذه الليلة على الأرجح.. لذا تأكدي من بقائك في الترافيرنا وحضري نفسك جيداً ويجب أن تكوني بمفردك طبعاً.. والآن.. هل أنت واثقة أنك قادرة على القيام بهذا العمل؟

ـ أجل.. بالطبع قادرة.. فلا تقلق.

واضطرت إلى الإصغاء إلى الكثير من التعليمات المتكررة التي سمعتها في لندن.

ـ وهل درست الأمر جيداً؟ هل حفظت كل الأسئلة المخادعة كي تتأكدي من أنه بوشاري؟

طمأنته غيرلي مرة أخرى وأنهى اتصاله أخيراً إنما ليس من دون هواجس وقد عرفت هذا، فهو يفضل كثيراً لو أنه أرسل رجلاً متمرساً في عمله كمراسل لمثل هذه المهمة بدلاً من امرأة. وعادت إلى غرفتها مفعمة بالإثارة.. أخيراً حصلت على ما تريد.. ونظرت إلى ساعتها تتساءل متى سيتم الاتصال بها وأين ستجري المقابلة. هل هي على جزيرة شون بوشاري «فاليوس»، وهذا ما سيعني رحلة بحرية قصيرة؟

قد يكون نسيم المتوسط بارداً في الليل، لذا قررت ارتداء شيء أكثر دفئاً: بنطلون قماشي أبيض وقميص كحلي رياضي، فوقه سترة قصيرة سميكة مشغولة يدوياً، ترتديها إذا أحست بالبرد.. ثم تفحصت شرائط التسجيل الجديدة لآلة التسجيل، إضافة إلى دفتر ملاحظاتها والأقلام. ستتأكد تماماً من تسجيل كل كلمة في هذه المقابلة. ووضعت كل شيء في حقيبة أدواتها وتفحصت مجدداً أدوات التصوير. وبعد تفكير قصير، أخذت كاميرا صغيرة رقيقة ودستها في جيب بنطلونها ثم نظرت متفحصة نفسها في المرآة لتتأكد من أنها ليست ظاهرة.. لقد سمح شون بوشاري للمصورين بالتقاط صور له أثناء فترات عيشه، لكنه قد لا يسمح بهذا الآن.

جلست إلى طاولة في الخارج منتظرة أكثر من ساعة وهي تقرأ كتاباً لتتسلى ولكن لم يحدث شيء.. كانت تشك في كل رجل يمر على رصيف الميناء، لكن معظمهم كان من الصيادين، يتجهون إلى قواربهم استعداداً لصيد الليل. وانتهدت غيرلي تضجرك من نفسها.. ربما لا زال الوقت مبكراً جداً.

قررت أن تطلب العشاء فاستدعت الساقي وطلبت «السوفلاكي» التي أكد لها بحماس أنها ستجدها لذيذة جداً، ثم تحرك مبتعداً.. وسرعان ما توقف قلبها عندما ظهر رجل كان يقف مختفياً وراء الساقي.. وأدركت أنه كورت.

ـ مرحباً.. أتمانعين أن أنضم إليك؟

وقبل أن ترد، كان قد أحضر كرسياً ووجه طلباً إلى الساقي وهو يجلس. كان يرتدي بذلة خفيفة ذات لون أزرق.. أصابتها الحيرة للحظات وهي تتساءل لماذا هذا اللباس الرسمي.. ثم تذكرت دعوة المرأة الفرنسية له إلى السهر على ظهر مركبها. إذن لقد أذعن

لنتيجة؟.. وتملكها غضب بارد.. هكذا هم الرجال.. لا يستطيعون مقاومة الإغواء حتى ولو كان مفضوحاً..

وفجأة عادت إلى واقعها وتذكرت أنها يجب أن تكون وحدها هذه الليلة، فقالت بقوة:

ـ أجل.. أمانع.

بدا كورت وكأنه كان غائب الذهن لحظة:

ـ آسف.. ماذا قلت؟

ـ قلت إنني أمانع في جلوسك هنا. هناك الكثير من الطاولات الفارغة.

ارتفعت عيناه تتفحصان وجهها:

ـ تصرفك غير اجتماعي أبداً.

ردت ببرود:

ـ ممكن جداً.. مع ذلك أفضل أن تذهب لتجلس في مكان آخر.

ازدادت زرقة العينين الزرقاوين وضاقتا بارتياب:

ـ أتساءل لماذا كل هذا؟ لا يمكن أن يكون السبب أنك ستقابلين شخصاً آخر.. أليس كذلك؟ لم يمض على وجودك هنا سوى يوم واحد.. وهذا ما أسميه عملاً سريعاً.

ردت ببرود:

ـ ليس أسرع منك ومن قالب الحلوى الذي كان يلاحقك طوال الصباح على الشاطىء.

لمعت في عيني كورت نظرة شيطانية وهو يرفع حاجبيه:

ـ أنت لا تشيرين حتماً إلى كلير؟ لا أظنها ستوافق على تسميتك لها بقالب الحلوى.. كلير الرائعة!

ـ حسناً.. أنت تعرف أكثر.

اتسعت ضحكته:

ـ هل ألمح الغيرة في صوتك؟

رفعت رأسها إليه بحدة:

ـ لا.. حتماً لا! أهلاً بها لك كما أنت أهل لها.. ستتناسبان معاً بشكل يثير الإعجاب.

غادرت نظرة السرج عيني كورت وانقلبتا إلى البرودة.

ـ أنت لم تكبري أبداً.. أليس كذلك؟

كبتت اندفاعاً قوياً لأن تخبره كم كبرت ولماذا.. وقالت ببرود:

ـ اسمع.. شخصياً كنت أعتقد أننا اكتفينا من بعضنا منذ سبع سنوات.. وإلا لما افترقنا.. وأنا كنت سعيدة جداً بعدم رؤيتك ولا أريد أن أضطر إلى رؤيتك الآن.. إذن لماذا لا تذهب من هنا وتتركني أكمل حياتي بدون تطفلك غير المرغوب فيه؟ أنا لست مهتمة بك كورت.. ولا أريدك قربي!

تحول وجهه إلى قناع قاتم: حسناً لقد أوضحت هذا تماماً.

ووقف ينظر إليها لحظة، ثم سار عبر الطاولات إلى واحدة في الجهة الأخرى وجلس في كرسي يواجه المقهى كي يستمر في رؤيتها بوضوح.

ركزت غيرلي بصرها على كتابها محاولة تجاهله ومتمنية لو أنه ابتعد بدلاً من البقاء في التراقيرنا.. لكنها في داخلها كانت تحس بغبطة قوية لأنها وبخته.. وهذا ما كان يجب أن يقال في النهاية على أي حال. فلا سبيل لاستمرار لقائهما بدون عودة كل الخلافات القديمة إلى تفكيرهما ثانية.. هكذا أفضل.. إنما ما من شيء يمكنه أن يمنع تدفق الذكريات.. إنها موجودة.. مريرة عقيمة وتؤثر سلبياً على ثقتها بنفسها وعلى رباطة جأشها.

حين وصلت السوفلاكا تبين أنها قطع لحم حمل مطبية بالأعشاب، مشوية على الفحم ومقدمة فوق طبق من الأرز المفلفل، وكان لها فعلاً مذاق لذيذ، لو كان لغيرلي الشهية لتأكل.. لكن شهيتها تلاشت، على الأرجح بسبب توترها من مواجهة المقابلة القادمة، ولم تتمكن من تناول أكثر من نصف الطبق مما أثار خيبة أمل الساقي الذي اعتبر هذا إهانة خاصة له.. وحاولت غيرلي طمأنته لكن الأمر انتهى بها إلى تناول حلوى لا تريدها جاء بها الرجل هدية من صاحب النزل الذي اعتقد أن السوفلاكا لم تعجبها.

أنهت الوجبة بالقهوة وهي تشعر طوال الوقت بوجود كورت الذي لم يحاول إخفاء واقع مراقبته لها.. لقد أطال المقام بحيث أصبح من الواضح أنه لن يقبل دعوة المرأة الفرنسية له، فقد أصبحت الساعة أكثر من التاسعة الآن.

دخل الكثير من الناس إلى المكان وذهبوا مع تقدم الليل.. وبدأت غيرلي تقلق فعلاً.. ماذا لو أن شيئاً حدث ولم يأت من تتوقع أن يتصل بها الليلة. قد يكون شاهدها مع كورت، وغادر المكان بسرعة خوفاً من أي خدعة.. تنهدت ساخطة وطلبت فنجان قهوة آخر.. في العاشرة بدأت موسيقى البوزوكي تصدح من مكبرات الصوت المعلقة على الجدار.. في البداية لحن مأساوي حزين، ثم تغير الإيقاع إلى لحن مرح. بعد قليل وقف الرجال أذرعهم متشابكة، وهم يتحركون بسرعة تتصاعد مع إيقاع الموسيقى.

انغمست غيرلي في مشاهدة الراقصين حتى أنها نسيت سبب وجودها هناك.. التفتت مجفلة عندما لامس أحدهم ذراعها.. وثارت توقعاتها بجنون.. لكن من لمسها كان صبياً يونانياً في حوالي العاشرة من عمره، عيناه البنيتان الطويلتا الرموش تنظران إليها، وفي يده صينية

وضع فيها قطع دانتيل مطرزة يدوياً ربما بيد أمه أو أخته.

ـ أرجوك آنسة.. اشتري؟

هزت رأسها: لا.. شكراً.. ليس الآن.

لكنه دفع الصينية إليها وقال: بلى.. بلى.. اشتري هذه.

التقط مفرش طاولة مزخرف مطوي أربعاً وضعه في يديها.

بدأت تقطب: الآن اسمع..

ثم أحست بملمس ورقة داخل القماش فخفق قلبها بسرعة. فتحت الزاوية ورفعتها لترى قطعة الورق. ثم أخرجتها بسرعة لتقرأها.. كان فيها كلمتان: اتبعي الصبي.

قالت بصوت يكاد يكون مخنوقاً:

ـ حسناً.. أعتقد أنني سأشتري هذا.

فتشت في حقيبة يدها عن بعض قطع «الدراخما» ووضعتها في يد الصبي الممدودة. واضح من الابتسامة الجميلة التي أضاءت وجه الصبي أنها أعطته أكثر مما يستحق المفرش ثمناً، لكنها كانت مهتاجة كثيراً. تحرك الصبي متنقلاً إلى طاولات أخرى حيث يجلس السواح بمن فيهم كورت الذي أبعده عنه. ثم نظر الصبي إلى الخلف نحو غيرلي قبل أن يستدير ويغادر التراقيرنا. وبحركة عفوية، أنهت قهوتها وتظاهرت بالتثاؤب لئلا يلحظها أحد خاصة كورت، ثم التقطت حقيبتها وسترتها، وشقت طريقها نحو الدرج.. وراقبها كورت عن كثب وهي تمر به، لكنها أبقت رأسها موارباً عنه.. فلتدعه يظن أنها تتجاهله.. فهذا يناسبها تماماً في هذه اللحظات.

كان على عينيها أن تعتادا على العتمة لدقيقة بعد ابتعادها عن أنوار التراقيرنا القوية.. لكنها سرعان ما رأت قميص الصبي الأبيض على بُعد أمتار منها إلى اليسار يتجه نحو نهاية الرصيف وبداية البلدة. لحقت به

بسرعة. وصنادلها لا يصدر أي صوت فوق حجارة الشارع. وسرعان ما كانا يسيران وسط شوارع ضيقة ملتوية إلى أن بدأت غيرلي تشعر بالضياع، وتساءلت باضطراب إلى أين يتجهان.. هل سيتم اللقاء هنا في ميلميا وليس على جزيرة شون بوشاري؟ من المستحيل اللحاق بالصبي لتسأله، فكلما سارعت خطواتها فعل مثلها، حتى أصبحت قدماه راكضتين تقريباً. حتى لو تمكنت من إيقافه فهو على الأرجح لا يعرف ما يكفي من الإنكليزية ليخبرها بما تريد أن تعرفه. توقفا مرة عند منزل أبيض الطلاء، وبدأت تأمل أن يكونا قد وصلا. لكن هذا كان منزل الصبي بلا ريب، فقد دخل من الباب المضاء للحظات ثم خرج بدون الصينية متابعاً سيره.

بعد عشر دقائق أخرى، بدا أنهما يغادران البلدة. وبدأت المنازل تختفي.. غادر الصبي الطريق المرصوف ليدخل يميناً إلى طريق زراعية.. وانقلب وحل الشتاء الآن إلى ممر قاسٍ بفعل إطارات التركتورات والشاحنات، ليصبح أخاديد عميقة.. لم تكن غيرلي معتادة على مثل هذا السير الخشن، وسرعان ما فقدت أنفاسها، وأخذت تتساءل كم يبعد المكان الذي تقصده.

تابع الطريق امتداده في محاذاة جدار حجري خلفه حقول تنام فيها الأغنام تحت أغصان الزيتون الممتدة.. وبعد مسيرة قصيرة وصلا إلى أرض مكسوة بالحصى.

توقف الصبي ينتظر أن تصل غيرلي إليه. أنزلت حقيبة معداتها الثقيلة عن كتفها ووقفت تلهث بقوة تحس أن قميصها يلتصق بجسمها وقطرات العرق على جبينها.

قال الصبي بهمس أجش: انتظري هنا.

تابع سيره.. ووقفت غيرلي تنظر حولها وهي تستعيد أنفاسها.

استطاعت الآن أن ترى أنهما سارا في نصف دائرة واسعة وعادا إلى الساحل.. رأت إلى اليمين الرأس الصخري الممتد إلى داخل البحر، وأدركت أن هذا هو القسم الأيسر لخليج ميلميا. لقد التفا حوله ووصلا إلى الخليج الذي يقع وراءه.. كان هناك نتوء صخري قريب، وتحركت غيرلي لتجلس عليه، تتساءل كم يجب أن تنتظر، وماذا سيكون في نهاية هذا الانتظار!

ثم سمعت صوتاً خفيفاً، وقع أقدام فوق الحصى، لكن الصوت لم يكن آتياً من الجهة التي ذهب إليها الصبي باتجاه البحر بل من خلفها في الطريق التي أتيا منها.. وتوترت كثيراً عندما أدركت فجأة أنها تحمل شيكاً بمبلغ كبير من المال في حقيبتها، وأن هذا مكان خال وبعيد يمكن فيه بسهولة إغراق جسد في البحر والخلاص منه. ولا أحد يعرف بها غير الصبي الذي يبدو فقيراً جداً ويمكن الدفع له لإسكاته.

قالت بصوت متوتر، مخنوق، يقارب الذعر.

ـ من هناك؟ من أنت؟

كان طيف الرجل القاتم كبيراً وقوياً وهو يبرز من تحت ظل شجرة كبيرة ويتقدم نحوها. فتحت غيرلي فمها لتصرخ، ثم حدقت به بذهول وقالت شاهقة: أنت؟

وقال كورت بحدة:

ـ ومن كنت تتوقعين؟

طنته للحظات من الارتباك والحيرة الرجل الذي جاءت لتراه.. ثم عاد إليها تعقلها وأدركت أنه لحق بها حتماً من التراقبرنا.. فسألت:

ـ وماذا تفعل هنا؟

ـ أسألك السؤال ذاته. فهذا مكان غريب جداً ومع رفيق غريب.. لماذا.. غيرلي؟ من أتيت لتقابلي؟

تصاعد غضبها وقالت بشراسة:

ـ كيف تجرؤ على اللحاق بي؟ وما هو الحق الذي تظن أنك تملكه لتتدخل في شؤوني؟

ـ لا زلت زوجك.. في حال سها عن بالك.

ردت بغضب:

ـ لا.. لم يسه عن بالي.. وكيف يمكنني ورؤيتك تعيد إلى بالي كل الذكريات؟.. كل الأشهر الستة العفنة!

وصل كورت إليها في خطوتين، وأمسك ذراعها والإجرام بادٍ على وجهه:

ـ أيتها السافلة الرخيصة.. لو كان لدي ما يكفي من عقل لضربتك بالسياط كما تستحقين، عندما كنا معاً.

ردت بصوت قرف:

ـ أوه.. حقاً! لكن مثل هذه التصرفات ولت مع عصور الديناصور

اشتدت قبضته على ذراعها لحظة، ثم استرخت ليقول:

ـ ربما هذا صحيح. كما أنني أشك في أن يؤثر الجلد بالسياط على اشمئزازك الكامل بالدوامة «الاجتماعية» التي كنت عالقة فيها حينها. مع ذلك.. لا زلت أريد أن أعرف من أتيت لتقابلي؟

ـ لقد سبق وقلت لك إن هذا ليس من شأنك.

ـ ليس من شأني؟ لقد كنت خائفة حتى الموت حين أتيت من وراءك.

ـ طبعاً أجفلت.. لم أكن أتوقع أحداً من هذه الجهة.. وكان من الطبيعي أن تخيف أياً كان، وأنت تخرج من العتمة هكذا.

ضحك بصوت منخفض:

ـ تخص المسألة تلك المهمة الصحفية.. أليس كذلك؟

ـ وماذا لو كان هذا صحيحاً؟ كم مرة يجب أن أقول لك ألا شأن لك بهذا؟

ـ ربما هذا صحيح.. لكنني سأبقى هنا لأتأكد أنك بخير.

نظرت إليه برعب:

ـ لكنك لا تستطيع.. ستفسد كل شيء.. لقد اشترطوا أن أجيء بمفردي؟

أدركت أن كشفها هذا سيكون له تأثير معاكس، فسارعت تضيف بصوت متعقل قدر استطاعتها:

ـ اسمع.. كورت.. أنا.. ممتنة لاهتمامك.. لكن.. أنا على ما يرام تماماً. أنا أنتظر وسيلة نقل تقلني لإجراء مقابلة مع شخص ما.. شخص مهم جداً. أعرف أن لحاقي بالصبي إلى هنا يبدو غريباً.. لكنه مصر على السرية التامة، وإذا شاهدك أحد معي فسيفسد هذا المسألة كلها.

ـ ومن هو؟

ـ لا أستطيع إخبارك.

ـ إذن سأبقى هنا لأعرف.

ـ لا!

عضت على شفتها حين رأت نظرة العناد الذي لا يلين على وجهه.. ثم حاولت يائسة إقناعه بطريقة جديدة:

ـ اسمع.. أنا آمنة تماماً. يعرفون من أنا، لكن إذا وجدوك معي قد يتحولون إلى الشر.

ضحك بشهقة غير مصدق:

ـ يا إلهي! وهل تظنين أنني سأخاف؟

نظرت إلى كتفيه العريضتين القويتين ولأول مرة بدأت تتساءل ما الذي حدث له خلال تلك السنوات السبع.. ما الذي غيره إلى ما هو عليه؟ وأشاحت بوجهها عنه:

ـ لا.. أنا آسفة.. لكن هذه القصة تعني الكثير لي كورت. لو حصلت عليها، ستكون أهم عمل قمت به في حياتي. قد يكون نجاحي أو فشلي فيها نقطة تحول في حياتي المهنية.

ـ وهل حياتك المهنية مهمة إلى هذه الدرجة لك؟

ـ طبعاً.. إنها حياتي كلها.

ـ حقاً؟ أم أن هذا مجرد إضاعة وقت ما بين مشاغلك الاجتماعية؟

ـ أوه.. لا تكن ساخراً هكذا. ألا زلت تعتقد أن للنساء قالب حلوى بين آذانهن؟ أنا أعمل لأنني مضطرة إلى العمل.

تناهى من تحتهما عبر هواء الليل الساكن صوت مركب من بعيد يتقدم إلى الشاطىء، ثم أصوات تتحدث بهمس.

نظرت إليه يائسة وقالت متوسلة بصوت منخفض: أرجوك كورت.

تقدم إليها ينظر إلى وجهها:

ـ يجب أن أعرف من هو.

أذعنت فجأة.. تعرف أنها لن تكسب:

ـ اسمه شون بوشاري، يعيش في جزيرة فاليوس، والآن.. أرجوك أن تذهب؟

لكنه لم يتحرك: كم ستبقين هناك؟

ـ لا أعرف.. قد أبقى عدة ساعات.. لا أعرف كم ستستغرق المهمة.

سمعا من خلفهما طقطقة حجارة صغيرة مع تسلق أحدهم

المنحدر.

فتحت فمها لتتوسل بيأس لآخر مرة، لكن كورت سبقها.

ـ حسن جداً.. سأذهب. لكنني سأختبىء لأراقبك وبينما تصلين إلى المركب آمنة.

ارتفعت يده تمسك مرفقها لحظة:

ـ كل ما أرجوه أن تكوني واعية لما تفعلينه.

ثم اختفى في العتمة تحت الأشجار. بينما تقدمت غيرلي لملاقاة الرجل القادم الذي سيطلعها على كيفية اللقاء.

وصل الصبي أولاً.. ثم رجل متوسط الطول، نحيل البنية نظر إليها متفرساً، ثم تلفت ينظر ببطء حوله باحثاً في الظلام. أحست غيرلي بقلبها يخفق بشدة، وصلّت لله أن يكون كورت قد اختبأ جيداً. وعادت العينان في الوجه النحيل إليها.

سأل الرجل بإنكليزية واضحة: أنت لوحدك؟

هزت غيرلي رأسها، لا تجد الثقة في نفسها لتتكلم.

التفت الرجل إلى الصبي وأعطاه مالاً، وهو يصدر إليه أمراً صارماً باليونانية، بحيث أن الصبي أخذ المال بسرعة وركض مبتعداً باتجاه البلدة.

انتظرت غيرلي بارتباك إلى أن نظر الرجل إليها: هل لديك المال؟

ـ أجل.

ـ أعطني إياه.

أمسكت حقيبتها بقوة وقالت بحزم:

ـ ليس قبل أن أتأكد أنني سأقابل شون بوشاري.. أين هو؟

توتر وجه الرجل غضباً:

ـ لقد ناقشت كل هذا مع الصحيفة.. ويعرفون أن عليهم الثقة بي.

ـ وهم يثقون بك.. وإلا لما كنت هنا.. لكن يمكنك حتماً في هذه المرحلة أن تقول لي أين هو؟ وأين يقع مكان المقابلة؟

صمت قليلاً.. ثم هز كتفيه:

ـ حسن جداً.. إنه على يخته «مقدونيا»... لدي قارب على الشاطىء وسنجذف إلى أن تصل بك إليه.

سألت مرتابة: وهل وافق على المقابلة؟

رد بسرعة كبيرة: أجل.. وافق.

ـ إذن لمَ كل هذا؟ ليلاً وبمثل هذه السرية؟ وعلى متن يخته؟ لماذا ليس علناً في وضح النهار وفي منزله على الجزيرة؟ ومن أنت، وما هو دورك في كل هذا؟

حدق فيها للحظة مذهولاً.. ثم بدا أنه قرر أمراً:

ـ اسمي لا يهم.. لكن يمكنك دعوني بيدروس إذا رغبت، يكفي أن تعرفي أنني مقرب من السيد بوشاري.. كنت سأخبرك كل شيء ونحن في الطريق إلى اليخت.. لكن إذا كنت مصرة سأخبرك الآن. منذ سنوات، أصيب السيد بوشاري بمرض خطير حتى أوشك على الموت.. وأثر المرض على دماغه. الآن..

هز رأسه بأسى:

ـ... الآن يختبىء هنا لئلا يرى أحد ما حل به.

تقدم إليها ومال إلى الأمام ليخفض صوته:

ـ في بعض الأيام يكون طبيعياً جداً، وفي أخرى يتصرف كالطفل. لكن تشويهه يعيد إليه الذاكرة دائماً.

ـ تشويه؟

ـ وجهه.. لقد تأثر كذلك بمرضه. والنظر إليه الآن.. بشع، مرعب.. لهذا لا يسمح لأحد بالمجيء إلى هنا.. حتى أنه يضع قناعاً

أمام الخدم.

اتسعت عيناها برعب.. ونظرت إليه فاقدة القدرة على الكلام.

لا عجب إذن أن يعزل شون بوشاري نفسه عن الجميع وعن كل من عرفهم في الماضي.. أن يتغير بين ليلة وضحاها من فتى عابث تسعى النساء إليه، إلى أقل من مسخ.. إن الصدمة لا تحتمل بلا ريب!

تابع بيدروس:

ـ إنه يعيش الآن على الأدوية.. أحياناً، حين يصاب بنوبة إحباط يائسة، يحب أن يتحدث عن ماضيه، عن مشاعره الحالية وعن المستقبل القصير الذي بقي له.. ولسبب ما، لا يرغب في التحدث عن هذا إلا لامرأة. لكن لا وجود للنساء في الجزيرة.. فهو لا يحتمل وجود امرأة هناك لئلا تشاهده بدون قناع.. كذلك لأنه يخاف من إشفاقهن عليه.. فهو حتى الآن ليس بالرجل الذي يحتمل الشفقة.

سألت غيرلي وقد سحرتها قصة الرجل: أي نساء يتكلم إليهن إذن؟

ـ هذا لا يحدث دائماً، تفهمين هذا. لكنني جئت لعلة مرات حتى الآن بالمركب إلى هنا، ودفعت لعدد من النساء كي يأتين معي إلى اليخت.

أحس بإجفال غيرلي إلى جانبه، فأضاف:

ـ أرجوك لا تسيئي فهمي. إنه لا يلمس النساء فمثل هذا أبعد من منال الآن، لكنه يحب النظر إليهن والتحدث معهن. إنهن لا يفهمنه طبعاً.. فهو لا يتحدث سوى الإنكليزية.. لكن هذا لا يهمه.. فهو قانع بوجود امرأة تصغي إلى هذره.

ـ هذره؟

ـ أجل لأن أياً منهن لا تطرح عليه الأسئلة.

ـ وتظن أنني قادرة أن أسأله؟

ـ إذا كنت تعرفين عملك تماماً.. أجل. لكن يجب أن تكوني لطيفة معه، وألا تدفعيه إلى حيث لا يريد. إنه مريض جداً، ولا أظنه سيعيش لوقت طويل.

فكرت غيرلي في الأمر بسرعة.. وبدا لها معقولاً.. لكن شيئاً واحداً كان يزعجها.

ـ لم تخبرني حتى الآن عن دورك في كل هذا!

هز كتفيه دونما اكتراث.

ـ أنا رجل فقير.. عندما يموت شون بوشاري، سيكون من الصعب علي أن أجد عملاً آخر. ولقد قرأت عن المبالغ الضخمة التي تدفعها الصحف ثمناً لقصص كهذه.. ففكرت في الأمر كله. لن يضره شيء من هذا، فهو لا يقرأ الصحف. وربما تقرأ إحدى زوجاته السابقات القصة وتصر على زيارته لتمنحه بعضاً من الصحبة في أواخر أيامه.

ـ قد تفعل إحداهن هذا بالطبع.

لكنها تساءلت ساخرة ما إذا كان دافعهن سيكون المحبة والإشفاق، أم التأكد من ذكرهن في وصيته.. ثم وبخت نفسها لتماديها في السخرية. هذا ما يجلبه العمل في الصحف على المرء إذ يرى الكثير من جشع الناس وقسوتهم.

تكلم بيدروس مجدداً بشيء من السخرية: هل اكتفيت آنسة غيرون؟

هزت غيرلي رأسها:

ـ أجل.. خذني إلى اليخت، وسأعطيك المال هناك.

ـ تعالي إذن.

سار في الطريق نزولاً إلى الشاطىء. كان القمر مشعاً.. نظرت غيرلي بسرعة إلى الأشجار حيث يختبىء كورت لكنه لم يظهر. وتساءلت بقلق كم استطاع أن يسمع، وما إذا كان سيستفيد من المعلومات ويرسلها عبر الهاتف إلى صحيفة منافسة.

كان الممر شديد الانحدار، والحصى منتشرة تحت الأقدام. لكنه بدا مرصوصاً جيداً، وتساءلت غيرلي لأي غرض يستخدم في هذا المكان الهادىء البعيد عن الأنظار والميناء.. هل هو نقطة تهريب؟ كان على الشاطىء قارب مسحوب إلى نصفه على الرمال. وساعدها بيدروس على الصعود، ودفع بالقارب إلى البحر ثم قفز إليه وأمسك بالمجدافين يسير القارب في البحر بسرعة مذهلة تفوق قدرة رجل نحيل مثله.

سألها يشير برأسه إلى الحقيبة: ماذا لديك هنا؟

ـ أوه.. مسجلتي، ومعدات التصوير.

قال بصوت حاد:

ـ يجب ألا يكون هناك صور.. إنها ممنوعة. هل تفهمين؟

ـ لكن إذا كان يرتدي قناعاً فما الفارق؟

ـ قد يخيفه النور المبهر ويجعله يدرك ما يحدث.. وهذا ما قد يحوله إلى الشر، وقد يؤذيك قبل أن أستطيع منعه.

نظرت إليه صامتة.. ثم سألت: هل أنت ممرض له؟

نظر من فوق كتفه يتأكد من خط سيرهما:

ـ أجل، هل توافقين على ألا تأخذي أية صور أم أعيدك إلى الشاطىء؟

ـ حسن جداً.. أوافق.

تابع التجذيف إلى أن أصبحا في عرض البحر حيث رأت غيرلي

ضوءاً يخت كبير، إضاءته الوحيدة نور في أعلى مقدمته. تقدم بيدروس إلى جهة سلم الصعود، وأوقف القارب بسرعة عند أسفل يضع سلمات تتدلى من الجانب.. خرج من القارب، وانحنى يساعدها على الخروج.. وما إن وصلا إلى السطح حتى التفت إليها مادا يده: المال.

أخرجت الشيك بصمت من جيبها وأعطته إياه فرفعه كي يراه ثم هز رأسه برضى: من هنا.

قادها فوق سطح خشبي مصقول جداً إلى درجة أنه يعكس نور القمر، إلى باب مزدوج يوصل إلى المقصورة الداخلية. كان المكان مظلماً بحيث لم ترَ شيئاً، لكنها وعت الفخامة من سمك السجاد تحت قدميها ولمعان المرايا بإطاراتها الفضية والطاولات المصنوعة من حجر «الأونيكس». كان المكان يعبق برائحة الفخامة والثراء ولمحت وميض نور خفيف منبعث من مقصورة داخلية أدركت أنه قادم من نار موقدة في مدفأة بنيت في مقدمة رأس المركب.

دخلت إلى المقصورة حيث كانت الجمرات تعطي الحرارة والإضاءة الخفيفة للغرفة المظلمة.. ولفت الرجل الجالس في مقعد مستقيم الظهر قرب المدفأة انتباه غيرلي. كان يجلس وهو قابض على ذراعي المقعد ينظر مباشرة إلى الأمام نحو نوافذ مغطاة بستائر.. وكان يضع على رأسه ووجهه قلنسوة سوداء تشبه تلك التي يرتديها لاعبو السيرك ولها ثقوب تناسب عينيه وأنفه وفمه.. وأحست غيرلي أن هذا أبشع ما رأت.

تقدم بيدرو بصمت إلى المقعد وقال:

ـ سيد بوشاري؟ سيد بوشاري.. هل أنت نائم؟

أجفل الرجل:

ـ لا.. لا.. لست نائماً، ماذا تريد؟

كان كلامه بطيئاً متثاقلاً، وكأنه مخدر.

ـ جئتك بمن تتحدث إليه. سيدة شابة لطيفة. أنظر.. ها هي.

أشار إلى غيرلي لتتقدم نحو نور النار الخفيف فرفع الرجل الذي كان يوماً محط اهتمام الناس رأسه بلهفة تثير الإشفاق.

ـ هل تجلسين معي؟

هزت غيرلي رأسها مخدرة الإحساس.

حرك بيدروس مقعداً لها. لكن قبل أن يفعل هذا بدأ شون بوشاري في الكلام فسارعت غيرلي تبحث في حقيبتها وأخرجت المسجلة ثم حركتها للتسجيل.. وللتدقيق أكثر، أخرجت دفتر الملاحظات وقلماً. لكنها وجدت صعوبة في الرؤية في الضوء المعتم. كان يتحدث بسرعة وبدون ترابط.. بصف حفلة كبيرة أقامها في مونت كارلو في إحدى السنين.

قاطعت تدفق كلام الرجل وقالت بصوت ناعم:

ـ هل كنت تحب إقامة الحفلات سيد بوشاري؟

بدا مذهولاً من كلامها في البداية.. لكنه أخيراً قال متمتماً:

ـ أجل.. أجل.. كنت أحب إقامة الحفلات دوماً.

ـ حتى وأنت ولد صغير؟ حين كنت تعيش في تورنتو؟

كرر:

ـ أجل.. كنت أحب إقامة الحفلات دوماً.. لكنني لم أعش في تورنتو.. بل في كويبك.

سمعت من خلفها همسيس بيدروس يحذرها فقد كان هذا السؤال للتجربة ولمعرفة حقيقة الرجل. وقررت أن تكون أكثر حذراً في سؤالها التالي.. ثم قادته إلى أن يعطيها قصة حياته.. وعندما بدأ يخبرها عن بعض أساليب عمله وأسماء النساء اللواتي كان له علاقات بهن، بدأت

غيرلي تحس بالإثارة.. فما يقوله مهم جداً! كان سؤالها التالي عن إحدى زوجاته، فتوتر على الفور وصحح لها الغلط الذي تعمدته بكل براءة بحيث اقتنعت أنه فعلاً شون بوشاري.. مع ذلك لا ضير في أن ترمي سؤالاً آخر لتتأكد تماماً.

سألته مستخدمة معلومات استقتها من مصدر نشر كتابي:

ـ كنت مع زوجتك الثانية وولديها، جاين وستيف، يوم استقبلت الرئيس الأميركي على متن يختك القديم «ذا شارك».. أليس كذلك؟

ـ هذا صحيح.. ليس هذا اليخت.

ـ وحضرت الحفلة السيدة ماكفرسون أليس كذلك؟ اصطحبها الرئيس معه؟

ارتج الصوت:

ـ أجل.. اصطحبها معه... امرأة جميلة جداً، صديقة مقربة من الرئيس.

تركته غيرلي يتابع كلامه.. لكنها كانت تجلس متصلبة الآن، وأذنيها منصتتان لالتقاط كل كلمة.. إذن السيدة ماكفرسون كانت موجودة.. لكنها في الواقع «كلبة» الرئيس! هذه مسألة صغيرة طبعاً، وقد يكون حقاً لا يذكرها.. لكنها معلومات تكفي لتتوتر أكثر.. وبالإصغاء أكثر التقطت له هفوة أخرى عندما ذكر اسم إحدى شركاته بشكل مغلوط.. هفوة أخرى صغيرة، لكنها كانت في بداياته، ولا يتوقع أحد أن يفكر في الاسم مرتين. وبدا لها أنه أخبرها بالكثير مما سيكون له أهمية كبيرة للصحافة.

سرعان ما خبت النار تماماً تاركة المقصورة في ظلام دامس.. كان المكان شديد الحرارة والنوافذ مقفلة.. وكان بيدروس قد أحضر لهما الشراب البارد مرتين.. لقد مضى عليها هناك وقت طويل، وكان عليها

أن تغير الشريط للتسجيل مجدداً.. وأصبح صوت شون بوشاري بطيئاً وأكثر خشونة.. أصغت غيرلي إليه وراقبته بارتياب متزايد.. كان عقلها يبحث عن وسيلة للتأكد لمرة أخيرة ما إذا كان هذا الرجل هو شون بوشاري حقاً.

ومضى وقت طويل قبل أن تكتشف من الصوت أنه يرفع قناعه في الظلام، حتى أنه أخرج في إحدى المرات منديلاً كما خمنت، ليمسح وجهه الذي كان يغلي حرارة حتماً تحت القلنسوة.

أخرجت الكاميرا من جيبها ببطء وهي لا تزال تطرح الأسئلة، ثم فحصتها بصمت تستعد لاستخدامها.. رفعتها إلى حيث قدرت اتجاه وجهه وانتظرت إلى أن مد يده ليشرب المزيد من العصير. كانت المقصورة هادئة جداً لا صوت فيها سوى صوته الذي يروي قصة رشوة دفعها إلى أحد السياسيين الكبار وأين دوران آلة التسجيل.

حلت أخيراً اللحظة المناسبة.. سمعته يتحرك إلى الأمام وسمعت صوت طقطقة الكأس ثم رأت حركة يده ليرفع القناع ويشرب. انفجر النور المبهر للكاميرا الصغيرة ليكشف عن وجهه بعيداً عن القناع.. كان له قسمات داكنة اللون وأنف معقوف وذقن بارزة.. وجه بشع بلا ريب إنما ليس وجهاً شوهه المرض وغيّر قسماته، ولا يشبه أبداً عشرات الصور الملتقطة للشاب الغامض التي دوستها غيرلي جيداً.. إنه ليس شون بوشاري!

ساد صمت مصدوم بعد النور المبهر للكاميرا.. إلى أن قالت غيرلي ببرود:

ـ بإمكانك إضاءة الأنوار بيدروس.. لقد تحققت من لعبتك القذرة.

أضيئت الأنوار تكشف عن فخامة المقصورة، والمقاعد الجلدية

الحمراء، ولوحة زرقاء الألوان لبيكاسو فوق جدار مزخرف بين أضواء خفية.

التفتت غيرلي إلى بيدروس: محاولة جيدة.. إنما ليس بما يكفي.

أخرج الرجل الذي ادعى أنه شون بوشاري منديلاً مسح به وجهه المتصبب عرقاً، وقال بصوت سريع واضح وعادي: أين ارتكبنا الخطأ؟

ابتسمت غيرلي: وهل يهم؟

التفتت إلى بيدروس: سأستعيد الشيك الآن.

وقف بيدروس يحدق فيها بنظرات مخيفة:

ـ لا أظن هذا.. على أي حال، أعتقد أننا نستحق أجراً نظراً للمجهود الذي بذلناه.

كان صوته منخفضاً، شريراً، وأدركت غيرلي بسرعة خطورة الموقف.. وقف الرجل الآخر وراح ينظر إليها بابتسامة بشعة على وجهه ثم قال ساخراً:

ـ يا لك من فتاة سخيفة.. هل تظنين أننا سنعيد لك طوعاً هذا المال؟

هزت غيرلي كتفيها محاولة إيهام الخوف عن صوتها:

ـ حسن جداً.. لكن من الواضح أنكما تعرفان الكثير عن شون بوشاري. لذا لمَ لا تقصان علي القصة الحقيقية؟

انحنت تلتقط المسجلة متظاهرة بإعادة الشريط إلى بدايته..

ضحك بيدروس:

ـ لو كان لدينا قصة نبيعها لفعلنا هذا منذ زمن طويل. لقد كانت هذه الخدعة آخر وسيلة لنا.

قالت غيرلي بصوت هادىء قدر استطاعتها وعيناها تجولان في المقصورة بحثاً عن طريق للهرب:

ـ وأعتقد أنك أملت أن أعطيك المال على البر لئلا تضطر إلى تنفيذ هذه المهزلة؟

ـ لا.. كنا نعرف أننا سنضطر إليها عندما أخرت صحيفتك على الدفع بواسطة شيك، وليس نقداً. وعرفنا أننا سنحتاج إلى وقت لتصرفه ونهرب، لذا لا تصدقي أننا سنسمح لك بمغادرة المركب لتوقفي صرف الشيك كما تأملين.. أنت لن تذهبي إلى أي مكان لبعض الوقت، هذا إذا لم يكن إلى الأبد.

تظاهرت أنها ترتدت خوفاً مما قربها أكثر إلى جدار المقصورة.. والواقع أن الخوف لم يكن تظاهراً إنما حقيقة!

ـ لا يمكنك فعل هذا. ليس من حقك إبقائي هنا!

تحرك كلاهما نحوها من جانبي المقصورة.. وقال بيدروس وابتسامة زائفة تعلو وجهه:

ـ ألا تستطيع؟ أظن أنا نستطيع فعل ما نريده بك. في الواقع قد يكون وجودك هنا أمراً مثيراً جداً.

حملت كل ما تستطيع من قوة إلى صوتها وصاحت بحدة وهي تنظر إلى خلفهما:

ـ كورت! النجدة!

في تلك اللحظة، وبينما هما يلتفتان إلى ناحية الباب، رمت غيرلي آلة التسجيل على المصباح البعيد في المقصورة، ومدت يدها في الوقت عينه إلى المصباح فوق رأسها تمسك بالذراع النحاسية المزخرفة وتشدها بكل قوتها.. تصاعد صوت المعدن وهو ينشق عن الخشب مع خروج البراغي من مكانها وبدأت تظهر الأشرطة الكهربائية، ثم رمت غيرلي المصباح إلى البعيد فانفجر وتطاير منه الزجاج بعد أن اصطدم بالمسجلة.. وأجفل الرجلان.. لكنهما أدركا بسرعة ما يحدث، وهادا

ليتقدما نحوها. شدت غيرلي بيأس فتحررت الشرائط الكهربائية محدثة انفجاراً مدوياً مع احتراق وصلات الكهرباء كلها وعم الظلام.

قفزت غيرلي جانباً في الوقت المناسب وبدأ الرجلان يشتمان من خلفها بعد اصطدامهما ببعضهما، وصاح أحدهما:

ـ الباب! بسرعة غطي الباب!

لكنها كانت قد فكرت في هذا، وقررت أن تحاول الخروج عبر إحدى النوافذ بينما يتخبط الرجلان ببعضهما في الظلام وهما يبحثان عنها.. أزاحت الستائر عن النافذة القريبة منها، وأمضت لحظات رهيبة من الرعب وهي تبحث عن المسكة، ثم حبست أنفاسها حين فتحتها.. وقال بيدروس مع صرير النافذة:

ـ صمت! ما هذا؟

قال الرجل الآخر غاضباً: لم أسمع شيئاً.. أين هي؟

التقطت غيرلي طاولة صغيرة قريبة منها ورمتها في اتجاه الباب.. وصاح الرجلان وتوجها نحو الصوت. في هذه اللحظات الثمينة صعدت غيرلي دونما رشاقة عبر النافذة وبدأت تزحف فوق سطح المركب بعيداً عن المقصورة.. كان القمر قد غاب الآن والوقت مبكر جداً لطلوع الفجر..

وكان مصباح المرسى مطفأ أيضاً.. لا شك أنها تسببت في قطع الكهرباء عن المركب كله. تعثرت مرتين بسبب الظلام وصدمت وركها حتى كادت تصيح ألماً، لكنها تابعت الزحف تفتش عن مكان تختبيء فيه.. مكان صغير تستطيع أن تتكور فيه وتكون آمنة.. ولم تفكر إطلاقاً في كيفية مغادرتها المركب.. سيكون من المستحيل محاولة سرقة القارب والتجذيف بعيداً.. فهذا هو المكان الأول الذي سيتوقعانها فيه.. لا.. من الأفضل الاختباء وبتما يطلع نور الصباح.. إذ لا يمكن

للمركب أن يبقى مبحراً إلى ما لا نهاية.. ثم أحست بشيء صلب تحت قدميها، فجلست إلى الأرض تتحسسه لتجد حلقة في السطح، مما يعني أن هناك فجوا تحتها.. وربما استطاعت أن تختبيء هناك..

انحنت لتشد الحلقة، في تلك اللحظة ومض نور مصباح يدوي في وجهها وصاح بيدروس:

- وجدتك!

قفز نحوها فتجنبته ثم بدأت تركض.. لكن لدمها علقت في الحلقة التي كانت تحاول سحبها فارتمت فاقدة التوازن على الحاجز المعدني ووقعت من فوقه رأساً على عقب إلى ظلمة البحر.

بدا أنها تغوص إلى الأسفل إلى ما لا نهاية، إلى أن تمكنت أخيراً من الدوران والسباحة باتجاه السطح.. كانت ملابسها تشدها إلى الأسفل، ومعدتها ممتلئة بالماء الذي ابتلعته بعد وصولها إلى البحر.. وأحست باليأس في أعماقها ليقينها من أن الرجلين سيلحقانها.. رفعت رأسها ورأت بيدروس حاملاً المشعل في يده.. فرفعت له يدها ليلتقطها.. وسمعت ضحكة الرجل الذي صاح إلى رفيقه بكلام ما، لكنه لم يتحرك ليمسك بها.. ثم سمعت صوت دوران محرك اليخت.. يا الله! هل سيمران من فوقها؟

تحركت تسبح بعيداً عن مدى نور المشعل ثم انحرفت عن مسارها على أمل أن ينجها في الاتجاه المعاكس، وفكرت أن تغوص إلى العمق في حال لحقا بها.. لكنها كانت تخشى مراوح المحرك.. فهي مثل هذا المركب الكبير قد تكون المراوح بقوة يمكن أن تسحبها إلى الأعلى وتقطعها إرباً.

خلعت حذاءها وراحت تسبح كما لم تفعل من قبل. وعندما توقفت أخيراً لتستريح رأت أن المركب أصبح على مسافة بعيدة عنها،

يبدو أنهما يدوران في دوائر واسعة والمشعل يثلب الماء وهما يبحثان عنها بلا جدوى.

استعادت ثقتها بنفسها وقد عرفت أنها تغلبت عليهما.. وبدأت تقلق من أن يقوم البحر بما عجز عنه الرجلان.. كل ما تعرفه أنها في مكان ما من المتوسط ولا فكرة لديها عن كيفية وصولها إلى أقرب يابسة.. هذا إذا كان هناك يابسة في المدى القريب.. زفرت أنفاسها وسيطرت على نفسها لكبح تصاعد الذعر فيها.. فقد كان المركب راسياً على بعد ربع ميل تقريباً عن كينوس.. لو بقيت تسبح لوصلتها في وقت قريب.. هذا إذا كانت تتجه في الاتجاه الصحيح.. وإذا لم يحملها التيار بعيداً عن الجزيرة طبعاً.. لكنها لا تستطيع البقاء في الماء بانتظار النهار. فقد يعثر عليها الرجلان، وقد يحملها التيار بعيداً.. لذا من الأفضل لها أن تسبح.

بعد ثلاث ساعات تقريباً، كشف لها نور الصباح الرمادي عن كتلة سوداء كبيرة من اليابسة على بعد مئة متر على يمينها.. ولو لم تشرق الشمس لعرت من قربها بدون أن تراها.. قاومت إرهاقها وإحساسها بالبرد وراحت تسبح بسرعة إلى الصخور.. وتهاوت ساقاها مع وصولها إلى الشاطيء، وكان عليها أن تزحف على يديها وركبتيها لتخرج من الماء ثم انهارت مع زوال طاقتها عند وصولها إلى الرمال الناعمة.

كانت الشمس قد جففتها وبدأت تحرق ظهرها حين فتحت عينيها، وكان هناك شخص يقف فوقها ووجهاً مألوفاً يتفحصها.

- حسن جداً.. حسن جداً! حورية بحر، لا أكثر ولا أقل.. أهلاً بك في جزيرتي أيتها الحورية!

كان هذا هو شون بوشاري الحقيقي مع ابتسامة على وجهه الذي لا يزال وسيماً

***

كان هذا هو شون بوشاري الحقيقي مع ابتسامة على وجهه الذي لا يزال وسيماً.

* * *

٤ ـ الخارج من الزمن

نظرت غيرلي إلى شون بوشاري مشدوهة يرفض عقلها تصديق ما تقوله عيناها. . مد يده إليها يساعدها لتقف، لكنها كانت لا تزال ضعيفة فاضطرت إلى التعلق بذراعه لتدعم نفسها.

سألت بارتجاف:

ـ أين. . أين قلت هذا المكان؟

ـ فاليوس. . ألم تكوني تعرفين؟

ـ لا. . لا. . ظننت نفسي أسبح إلى الناحية الأخرى إلى كينوس.

ـ وضللت الطريق. . يا لسوء الحظ!

كان في صوته سخرية لم تنتبه غيرلي إليها. تذكرت كيف كان اليخت يلحق بها، وسباحتها الطويلة البائسة، وبدأت ترتجف بدون قدرة على السيطرة على نفسها. . وأسنانها تصطك بالرغم من حرارة النهار.

ـ هاك. . من الأفضل أن تأخذي هذا.

تركها لحظة ليخلع قميصه وساعدها على ارتدائه.

ـ ليتك تتلطف بإعارتي منشفة وبعض الثياب الجافة، وسأكون ممتنة جداً لك سيد بوشاري.

ـ تعرفين من أنا إذن؟

ـ نعم.

ـ وأفترض أنني بعد أن أعطيك الثياب، سترغبين في البقاء والتحدث معي لفترة ما.. أليس الأمر كذلك؟

ستحب هذا كثيراً.. لكنها فهمت من تصرفه أن هذا آخر ما يمكن أن يحدث. أدارت رأسها تنظر إليه:

ـ أنا.. لا أعرف ما تعني؟

ـ ألا تعرفين؟ أوه.. بل أعتقد أنك تعرفين.. أنت لست أول مراسلة صحافية حاولت الحصول على مقابلة معي بهذه الطريقة..

بدأت غيرلي تسير على الشاطىء فلحق بها شون بوشاري على بعد خطوات.

ـ هل هناك مكان أستطيع فيه استئجار قارب يعيدني إلى كينوس؟

ـ يمكن تدبير هذا.. ولن تحتاجي إلى دفع أجره. سيكون من دواعي سروري تقديمه لك.. ثم لا أعتقد أنك تحملين مالاً.. في حالتك هذه.

تصلب ظهرها.. لكنها تابعت السير بصمت. بعد لحظات تابع ساخراً:

ـ أتحاولين القول لي من خلال مظهر الكرامة المجروحة هذا أنك لست صحافية.. أليس كذلك؟

توقفت غيرلي والتفتت إليه لتواجهه:

ـ لا أنا لست مراسلة صحافية، بل مصورة صحافية.

لمعت التسلية في عينيه وهو يدنو منها:

ـ أوه.. هذا أمر مختلف تماماً.. بالطبع.. لكنه يقود إلى الشيء عينه.. لقد استخدمت هذه الخدعة لتأتي إلى هنا من أجل مقابلتي.. ألم تفعلي؟ حاولت استغلال سمعة تأثري المشهورة بالنساء لتصلي إليّ؟ وكم أنت مستعدة للمضي؟

كانت غيرلي قد عانت الكثير منذ ليلة الأمس. صاحت به غاضبة وهي تقارب البكاء:

ـ اللعنة عليك شون بوشاري! أجل.. لقد جئت إلى اليونان لأجري مقابلة معك.. لكن فقط لأن الأمر تم الاتفاق عليه بين صحيفتي وأحد موظفيك. لكن، ليلة أمس، حين وصلت معه إلى بختك وجدت أنني خدعت.. لقد قابلني رجل ادعى أنه أنت..

وتلاشى صوتها ليتقلب إلى شهيق يقارب البكاء.

ـ عندما اكتشفت هذا، حاولا إبقائي على المركب لكنني هربت ووثبت عن ظهره.. ثم حاولا صدمي لإغراقي.. لسبحت وسبحت لساعات.. وها أنت الآن تبني الفظاظة لي. هذا آخر ما قد أتحمله! لذا إذا كان من الممكن أن تقول لي أين أجد قارباً، فسأتركك وجزيرتك العفنة.. حالما أستطيع!

ثم انفجرت بالبكاء كالغبية وبدأت تركض بعيداً عنه وهي تخبىء وجهها.

تركها تبتعد وانتظر لخمس دقائق قبل أن يتقدم إلى حيث جلست على مقعد حجري قرب درج عريض يقود صعوداً من الشاطىء. مسحت غيرلي دموعها بظهر يديها ونظرت إليه.. كان يرتدي شورتاً قصيراً يظهر أجزاء من جسمه الذي لا زال متناسقاً رياضياً بالرغم من مقاربته الخمسين من عمره..

جلس إلى جوارها قائلاً:

ـ يبدو أن في الأمر شيئاً أكثر مما ظننت. ما اسمك؟

ـ غيرلي هبسون.

نظر إلى يدها الخالية من الخاتم:

ـ حسناً آنسة هبسون.. من الأفضل أن تخبريني بالضبط كيف

وصلت إلى هنا.

كانت غبرلي تفضل لو أنها تغسل ملح البحر عن جسمها وشعرها وتستعير بعض الثياب الجافة قبل أن تقص عليه شيئاً. لكنها أدركت أنها لن تحصل على هنا ما لم تطلعه على قصتها أولاً. فقد بدا بلا رحمة حين أراد أن يضعها في قارب ويعيدها إلى كينوس كما هي.. هكذا، أخبرته القصة بكاملها.. كل شيء.. وأنهت كلامها معترفة:

ـ أدرك أنني كنت بلهاء تماماً في تصديقي لبدروس لكن الأمر بدا لي معقولاً.. وإلا لماذا تسجن نفسك هنا؟

نظر إليها نظرة مبهمة: لماذا.. حقاً؟

وقف يشدها معه لتقف:

ـ من الأفضل أن تأتي معي إلى المنزل وسأجد لك بعض الملابس.

نظرت إليه مرتابة:

ـ أنت تصدقني.. أليس كذلك؟

ـ هذين الرجلين، ما شكلهما؟

ـ الذي ادعى أنه أنت سديد السمرة، أعنف الأنف.. والآخر، بيدروس.

ارتجفت:

ـ.. رهيب المنظر.. شديد التحول له وجه هيكل عظمي..

وقف بوشاري ينظر إليها، وتصاعدت نظرة غضب شديد إلى عينيه وهو يقول:

ـ الآن أصدقك.. ذلك الأعنف كان مرافقي الخاص لعدة سنوات، وقد صرفته من العمل مؤخراً. أما الآخر، فهو رئيس الميكانيك في بحثي.. في الوقت الحاضر، من المفترض أنه يجرب اليخت بعد إصلاح عطل فيه.. ولا بد أنهما خططا لهذه المؤامرة معاً وانتظرا ريثما

سنحت لهما فرصة أخذ اليخت ليرسلا إشارة لك. أجل.. أجل.. يستطيعان هذا.. لقد منحت القبطان والبحارة إجازة هذا الأسبوع. ماذا قالا لك بالضبط؟

وهي تخبره، كانا يسيران معاً صعوداً ثم وصلا إلى حديقة.. جنة خضراء.. لا شك أن وجودها تطلب نقل أطنان من التربة لتغطية الصخور الجرداء. كانت نباتاتها مزيجاً من الأشجار الاستوائية الغريبة والورود الإنكليزية.. تنمو تحت إشراف دقيق وتسقى على الدوام مما جعل المكان جنة ظلال مع مرج هنا وهناك وتعريشات ظليلة تعبق بأريج زهور العسل والياسمين الهندي. وصلا إلى ما يشبه المعبد المستدير من الحجر الأبيض سقفه المقبب مرفوع على تماثيل للآلهة الإغريقية القديمة وتقدم شون بوشاري بسرعة عبر ممر عريض تحيط به الزهور الحمراء التي تلمع في أشعة الشمس، ثم صعدا مجموعة سلالم أخرى فوق منحى تلة شديدة الانحدار ودخلا إلى فناء الفيلا.. الآن، كان يجب على غبرلي أن تتوقف وتتأمل ما حولها.. كانت الفيلا مبنية على سفح التل، عرفها ذات شرفات حجرية. حتى أن هناك شلال ماء يتدفق نحو بركة سباحة تتوسط باحة مرصوفة.

تنفست غبرلي عميقاً:

ـ لكن.. هذا جميل جداً.. هل الشلال حقيقي؟

هز المليونير رأسه.

ـ لا.. بل هو يضخ من خزان على قمة التلة.

وتابع سيره، مسرعاً لكنه استدار حين ضحكت. فنظرت إليه بذهول:

ـ هذا غير رومانسي.. كان بإمكانك أن تقول على الأقل إنه يأتي من ساقية ماء لها قوى سحرية.. وإن الآلهة القديمة تشرب منها.

وهذا أفضل طبعاً . لكنني لا أعتقد أنك قد تهتم بقول كل هذا لشخص متطفل غير مرغوب فيه.

نظرس شون بوشاري في وجهها وكأنه يراه لأول مرة . وجالت عيناه في شعرها الأشقر الذي لا زال مبللاً بالرمال . وفي العينين الرماديتين تحت حاجبيها الرائعين، وفي أنفها المستقيم وخطوط فمها المتناسقة وذقنها . ورفعت غيرلي رأسها بتحدٍ أمام نظرته . فقال فجأة:

ـ كم عمرك؟

عبست . لكنها لم تجد سبباً يدعو لأن لا تخبره:

ـ أربع وعشرون.

هز رأسه وكأنه لا يصدق:

ـ أعتقد أنك رومانسية جداً؟

أشاحت بوجهها بعيداً ومدت يدها تلامس غصناً متعرشاً لزهرة قرمزية اللون.

ـ كنت . . منذ زمن.

ـ لكنك لست هكذا الآن؟

ـ لا.

ـ فهمت.

أدارت وجهها تنظر إليه: حقاً؟

ـ أوه . . أجل.

تذكرت تاريخ ماضيه وقالت:

ـ أجل . . أعتقد أنك تفهم.

تابعا سيرهما بصمت نحو الڤيلا.

سار أمامها عبر أبواب الشرفة إلى غرفة كبيرة كانت مفاجأة لها.

فقد توقعت رؤية ديكور فخم . . لكن الغرفة كانت بسيطة جداً . سجادتين أو ثلاث، ذات ألوان براقة من الصنع المحلي، وجدران خشنة مطلية بالأبيض تعطي خلفية مبهرة لعدة لوحات من الفن الانطباعي الفرنسي . . الأثاث بسيط كذلك . . أريكتان لهما وسائد عميقة، بيانو موضوع في الزاوية، جهاز ستيريو وجدار رفوف كامل مليء بالإسطوانات.

ـ من الأفضل أن تدخلي أولاً إلى مركز الاتصالات . ثم سأجد لك بعض الملابس.

قادها إلى ممر له عدة أبواب لغرف مقفلة بأجمعها . . وحملقت عينا غيرلي عندما دخلت إلى مركز الاتصالات الذي يشبه حجرة قيادة طائرة، مع جهاز إرسال ضخم والعديد من أجهزة الهاتف ذات ألوان مختلفة، إضافة إلى عدة أجهزة كومبيوتر . . كان هناك رجلان يعملان في الغرفة . وتقدم شون بوشاري ليكلم أحدهما الذي التقط على الفور هاتفاً وبدأ يتكلم فيه بإلحاح.

قال المليونير وقد عاد إليها:

ـ علينا أن نلحق أثر اليخت بعد ساعة . . لكن، لو أنهما اعتقداك ميتة، فقد يعودان به بإرادتهما ظناً أنهما آمنان . . من المثير رؤية وجهيهما حين يجدانك هنا بانتظارهما.

وجدت غيرلي هذه الفكرة مرضية بعد الطريقة التي حاولا فيها صدمها لإغراقها . ثم أدركت أن أول ما سيفعلانه، عادا أم لم يعودا، هو صرف الشيك . . أمسكت ذراع شون بوشاري وهما يخرجان من الغرفة:

ـ سيد بوشاري . . هل أستطيع طلب خدمة منك؟ الشيك الذي أعطيته لبيدروس . . أيمكن أن ترسل رسالة إلى صحيفتي لإيقاف صرفه

فوراً؟

رفع حاجبيه وقال ساخراً: وهل انتزعاه منك؟

اشتدت قسوة صوتها:

ـ ظننتهما أوصلاني إلى ما أريد!

ضحك، فبدا فجأة أصغر بعشر سنوات..

ـ شخصية كاريكاتورية مقنعة اعتبرتها البضاعة التي تريدينها؟

قررت الانتظام منه قليلاً:

ـ حسناً.. لقد بدا لي أنه يعرف الكثير عن ماضيك.. خاصة عن نسائك.. يعرف تفاصيل دقيقة عنهن.

ضاقت عيناه:

ـ يا إلهي.. حقاً؟ أرجو أنك لم تصدقيه.. يستطيع أي شخص أن يبتدع سبباً رهيباً عن انعزالي هنا.. يمكنه اختراع مثل تلك الأكاذيب لخداعك وجعلك تنسين الأهم طبعاً.

فغرت فمها ذهولاً وهي تدرك أنه يسخر منها، لكن قبل أن ترد التفت إليها وهو يضيف:

ـ تعالي، سأريك أين يمكنك أن تغيري ملابسك.

سار في ممر آخر انفتح إلى رواق يطل على غرفة طعام فخمة فيها مدفأة حطب كبيرة ثم توقف عند باب في الرواق وقال:

ـ ستجدين كل ما تريدينه هنا.. عندما تنتهين انزلي عبر السلم الخارجي إلى الشرفة.

دفع الباب بفتحه وهز رأسه بانتصاب ثم عاد بسرعة نحو مركز الاتصالات.

كان في الغرفة وسائل راحة عصرية أكثر من الغرف الأخرى التي رأتها.. كانت إحدى الغرف التي لها شرفة تطل على الحديقة فاتجهت

غيرلي فوراً إليها وراحت تنظر إلى الجنة الخضراء تمتع عينيها بجمال المكان ووفرة الأزهار التي تملأ الحديقة.. والصمت الذي لا يقطعه سوى همهمة البحر الناعمة وأزيز النحل الذي يمتص الرحيق من رؤوس الأزهار.. وربما لأول مرة في حياتها، بدأت تدرك ما يمكن للمال أن يحققه، وكيف ينعش حياة من يمتلكه بطريقة ساحرة.. وأنه قادر على خلق شيء بمثل هذا الجمال الذي لم تكن تحلم به حتى في أكثر أحلامها جنوناً.

عادت إلى الغرفة لتكتشف حماماً ملحقاً بها وغرفة ملابس تحتها فوجدتها مليئة بملابس نسائية كلها جديدة وتحمل علامات مشهورة جعلتها تحدق مشدوهة. ولم يكن هناك ملابس فقط، بل دزينات من الأحذية بعدة قياسات وألوان وأدراج مليئة بملابس داخلية أنيقة لا تزال كلها بلفافاتها.. نظرت غيرلي برعب تتساءل لمن كل هذا.. لا يمكن أن تكون لزائرات مثلها.. لذا من المحتمل أن شون بوشاري لا زال يستقبل النساء هنا من وقت إلى آخر.. وأكثر من واحدة بكثير نظراً لاختلاف أحجام وألوان هذه الملابس.

أطالت غيرلي وقت استحمامها واستخدمت الصابون السائل الخاص الذي وجدته في الحمام إضافة إلى شامبو فخم لشعرها. ثم لفت نفسها بمنشفة سميكة وخرجت إلى غرفة النوم حيث لمعت في أدراج منضدة الزينة إلى أن وجدت مجفف الشعر.. وأدركت الآن أن شون بوشاري لم يتغاض عن أي شيء يؤمن الراحة لضيوفه من النساء. أمضت نصف ساعة بالتفتيش بين الملابس متمنية لو تجرب معظمها، لكنها في النهاية اختارت أبسط الفساتين وحذاء مريحاً، وهي تحس أنها متطفلة غير مدعوة أو مرغوب فيها ولا يحق لها بأي شيء.. لكنها بالغت قليلاً باستخدام عطر «جوي» الذي اكتشفته مع حقيبة

ماكياج في أحد الأدراج.. وأية امرأة تستطيع مقاومة عطر يقال عنه إنه الأغلى في العالم؟

تركت الغرفة الجميلة على مضض وسارت إلى الدوج الخارجي المحفور في الصخر..

كان شون بوشماري ينتظرها على الشرفة جالساً إلى طاولة مستديرة يرتدي قميصاً عادياً فوق شورته القصير.. رفع رأسه وهي تتقدم نحوه وراحت عيناه تتفحصانها بإعجاب، لكنه لم يعلق على مظهرها.. وأشار إلى كرسي.

ـ أعتقد أنك جائعة؟

ـ همم.. أتصور جوعاً!

ـ سأطلب لك الفطور إذن.. وعليك أن تعذريني لأنني لن أشاركك، فقد تناولت فطوري باكراً.

ـ طبعاً.. كم الساعة الآن؟ لسوء الحظ ساعتي ليست مقاومة للماء، ولا أرى ساعة من حولي.

رد ضاحكاً:

ـ ولن ترى.. كان هذا أحد الأشياء التي تخلصت منها عندما جئت إلى هنا.. لا أريد العيش أنظر إلى الساعة وألاحق الوقت. المكان الوحيد الذي يوجد فيه ساعة هنا هو مركز الاتصالات وهي ساعة توقيت عالمية رقمية، لئلا أحرج الناس من أسرتهم حين أتصل بهم.. لا.. هنا في فاليبوس، أترك الزمن يأخذ مسيرته الطبيعية. والنتيجة أنه يبدو دائماً جامداً.. لكن إذا أردت حقاً معرفة كم الساعة..

رفع نظره إلى السماء وراح يتطلع إلى زاوية الشمس:

ـ.. أقول إنها بين العاشرة والنصف والحادية عشرة.

كانت غيرلي تبتسم لنفسها وهو يتكلم. وأدار رأسه ليضبطها

مبتسمة، فسألها:

ـ أعتقد أنك تظنين هذا أسلوب حياة بدائية؟

ضحكت:

ـ لا.. بل أظنه أسلوباً ممتعاً وجميلاً.. إذا كان المرء يملك المال الكافي.. والوقت. لا.. كنت فقط أتساءل عما سيقوله مدراء المبيع في شركات الساعات العديدة التي تملكها لو سمعوك تقول هذا.

ابتسم:

ـ أظن أن هذا مضر بأعمالي، أليس كذلك؟

تقدم خادم منهما حاملاً صينية الفطور، وبدأت غيرلي تقضم بجوع الخبز الطازج الساخن المغمس بالزبدة المنزلية الصنع والعسل.. ثم شربت عدة فناجين قهوة أميركية.. وأثناء هذا، كان مضيفها يطرح عليها أسئلة عن عملها، أجابته عليها بكل طيبة خاطر. وراحت تخبره عن بعض مهماتها السابقة وسنواتها الأولى في الصحافة.

ـ أنت أصغر عمراً من أن ترسلي في مهمات كهذه.. أليس كذلك؟

ـ أعتقد هذا.. لكن لا يوجد الكثير من المصورات الصحافيات، خاصة من يستطعن السفر بلا إنذار مسبق إلى أي مكان في العالم.

ـ وهل كنت تنوين التقاط صور لي؟

ابتسمت:

ـ بل كنت آمل هذا.. لكنني اضطررت إلى ترك كل معداتي فوق يختك، وأتوقع أن يكون بيدروس قد رماها في البحر لئلا يترك دليلاً على وجودي هناك.. يا إلهي.. سيجن رئيسي غضباً عندما يعرف أنه مضطر إلى شراء كل تلك المعدات من جديد. أتساءل كيف سيفسر بيدروس أعطال الكهرباء التي تسببت بها.. أنا آسفة، لكنني كنت مضطرة وأنت تفهم هذا!

ـ أوه.. أفهمه تماماً. أرجوك أن تأخذي حريتك في تحطيمه إلى قطع صغيرة ساعة تشائين.

نظرت إليه بسرعة، ورأت المرح في عينيه فأرجعت ظهرها تستند إلى ظهر كرسيها وقالت منتهدة:

ـ أوه.. ما أروع البقاء على قيد الحياة.

عاد الوقار إلى عينيه:

ـ غباء منك أن تذهبي معه بلا أي نوع من الأمان. ألم تبلغيهم في الفندق عن المكان الذي كنت ذاهبة إليه؟

هزت رأسها نفياً:

ـ ما كان لدي فكرة عن ذلك المكان، ثم إن عليك أن تكون مستعداً للمخاطرة في سبيل الحصول على قصص جيدة.

ـ أين تقيمين؟ سأكلف أحداً للاتصال وإعلامهم أنك سالمة.

ـ أوه.. لن يكون هذا ضرورياً، شكراً. أنا أقيم في تراقيرنا في ميلميا، وأنا واثقة أنه ما من أحد هناك يقلق علي لو..

توقفت فجأة تتذكر كورت، ثم تابعت ببطء:

ـ.. لو أمضيت الليل كله في الخارج.

لكن شون بوشاري لاحظ ترددها: ثمة شخص ما؟

هزت رأسها:

ـ تذكرت أنني قلت لأحدهم إنني سأقابلك.. لكنني واثقة أنه لن يفكر في الأمر كثيراً.

ـ ومن هو؟

ـ إنه رجل إنكليزي أعرفه، موجود هنا في عطلة.

لحسن الحظ لن جرمن ومنعه من سؤالها أكثر، فقد التقط سماعة الهاتف وأصغى بضع دقائق.. ثم أعادها إلى مكانها يبتسم برضى.

ـ لقد اقتفوا أثر يختي إلى بيرابوس.. ولقد تدبرت أمر إعادة الرجلين إلى هنا.

ـ وهل سيجلبهما البوليس؟

ـ لا.. ليس البوليس.. لدي وسائلي الخاصة للتعامل مع من يخونون ثقتي بهم.

نظرت غيرلي إليه وارتجفت فجأة عندما رأت للحظة القسوة الباردة التي نقلته إلى قمة السلطة والثراء.. لن ترغب أن تكون في موقف بيدروس والرجل الآخر حين يواجهانه.

أعاد اهتمامه إليها.. قائلاً:

ـ أخبرتني أنك قادرة على السفر بلا سابق إنذار.. فهل يعني هذا ألا التزامات عائلية لك؟

ردت بحذر:

ـ بلى.. لدي. لكنني أنظمها بحيث أتمكن من القيام بأي عمل.

ـ هكذا إذن.. وما هي التزاماتك بالضبط؟ والدان، صديق؟ أم حبيب؟

اشتدت قسمات وجه غيرلي بسبب وقاحة السؤال، لكنها ردت بصوت يود:

ـ لا شيء من هذا.. وأنا واثقة أنك لا تهتم لحياتي الخاصة سيد شون بوشاري.

مال في جلسته إلى الأمام ينظر إليها:

ـ أوه.. لكن ربما أنا مهتم.. بل قد أكون مهتماً جداً، أخبريني عن حياتك الخاصة آنسة غيرلي هيسون! أريد سماع كل تفصيل.. من كان حبيبك الأول، كم رجلاً عرفتِ، من شطك من رومانسيتك؟.. هيا.. أخبريني كل شيء عن نفسك!

قطبت غيرلي.

- أنا لم أسألك أي سؤال عن حياتك الخاصة، سيد بوشاري.

- لا.. لكنك أتيت إلي هنا لهذا السبب، أليس كذلك؟ لتفتشي عني وتتطفلي على ماضيّ... لتجدي أشياء مهمة عن عملي.. وقبل أي شيء بالطبع لتعرفي السبب الذي جعلني أعزل نفسي في هذه الجزيرة.. هذه هي الحقيقة.. أليس كذلك؟

كان سؤالاً شرساً وقبضة يده تضرب الطاولة، فنظرت غيرلي إليه للحظة طويلة بدون أن تتكلم.. ثم قالت ببطء:

- كانت هذه القصة التي جئت إلى اليونان لأحصل عليها. أجل.. لكن لو اخترت أنت أن تعطيني إياها بمحض إرادتك.. وبما أنه تبين لي أنك لست من وافق على مقابلتي، فلا حق لي في طرح أي سؤال عليك.. ولن أفعل.

تفرس فيها عدة لحظات والدهشة مرتسمة على وجهه:

- مراسلة صحافية لها أخلاق.. لا أصدق هذا!

- أنا أعمل لصحيفة جيدة السمعة سيد بوشاري. وليست من صحف الإثارة الرخيصة. وكنا سنتحقق من كل الوقائع التي كنا سنحصل عليها قبل نشرها.

ابتسمت ابتسامة خفيفة:

- أشك في أن تكون صحيفتي أو أنت، سعيدين لو نشرنا عناوين تصفك بالأبله المشوه.

علت وجهه نظرة رعب: يا إلهي! لا!

أضافت مفكرة:

- سيضطرك هذا إلى نشر تكذيب له، ولربما اضطررت حينها إلى الخروج إلى العلن.

نظر إليها باهتمام:

- هذا صحيح.. ربما كلانا نجا بأعجوبة.. إذن أنت لن تطرحي عليّ أية أسئلة؟

هزت رأسها نفياً متسمة، لكنها أضافت بشكل مستفز:

- إلا إذا أردت أنت الكلام، طبعاً.. أتعرف.. سيأتي يوم تحكي فيه قصتك بنفسك. لقد كان بإمكان هؤلاء الرجلين خداع مراسل لا يعرف عمله جيداً.. ولا أعرف مدى اطلاعك على الشائعات.. لكن ثمة أقاويل كثيرة انتشرت بخصوصك مؤخراً: أنك مدمن مخدرات تقضي فترة استشفاء من انهيار عصبي، أنك مصاب بنقص.. حتى أن بعضهم قال إنك ميت وإن هناك مجلس وصاية يدير أعمالك، وهذا سيء جداً لسمعة أسهمك في السوق المالية..

هز شون بوشاري كتفيه دونما اكتراث:

- انتشر هذا النوع من الأقاويل منذ انتقلت إلى هنا.. وأعرف كيف أتعامل معها.. لكن هناك شائعة واحدة ترددت في قولها لي فما هي؟

انزعجت حين وجدت نفسها تحمر ونظرت إلى الطاولة:

- حسناً.. لقد أشار أحدهم إلى أنك تعاني نقصاً في الرجولة.

توقعت أن يغضب لكنه ضحك من كل قلبه.. مال إلى الأمام ومد يده يغطي يدها، حاجباه مرتفعان وفي عينيه نظرة لا يمكن أن تفشل غيرلي في فهمها:

- أؤكد لك أنها شائعة غير صحيحة قطعاً.. في الواقع، سأكون سعيداً بإعطائك البرهان.. لو أتيحت لي الفرصة؟

قبل أن تتمكن من الرد، قاطعهما صوت وقع أقدام فالتفت شون بوشاري والعبوس على وجهه فيما لا تزال يده تغطي يدها. كان هناك ثلاثة رجال يعبرون الشرفة متجهين نحوهما.. يوجه اثنان منهم

مسدسات مصوبة إلى الرجل الثالث الذي كان من الواضح أنه سجينهم. وجعلت نظرة واحدة إلى الرجل غيرلي تتجمد.

صاح شون بوشاري غاضباً:

ـ من هذا بحق السماء؟ كيف وصلت إلى هنا؟

أجاب أحد المسلحين بحدة:

ـ لقد دخل بمركبه إلى الخليج.. حذرناه ليبتعد لكنه تابع تقدمه مع أننا أطلقنا النار نحوه.. يقول إنه جاء بسبب الفتاة.

وأشار برأسه نحو غيرلي.

تكلم كورت للمرة الأولى بلهجة ملؤها السخرية وهو ينظر متعمداً إلى يديهما المتشابكتين.

ـ لكنني أرى الآن ألا داعي لقلقي.

سحبت غيرلي يدها بسرعة وخبأتها تحت الطاولة.

أخذ بوشاري ينقل نظره من كورت إلى غيرلي، ثم وقف يسألها هل تعرفينه؟

هزت رأسها كارهة:

ـ أجل.. إنه الرجل الانكليزي الذي أخبرتك عنه.

ـ آه.. أجل.

خاطب الرجلين:

ـ لا بأس في هذا.. بإمكانكما الذهاب.. لكنني فيما بعد سأطلب تفسيراً منكما عن كيفية تمكنه من الرسو هنا.

قال هذا بعبوس لا يبشر بالخير للرجلين. وهبطت أكتافهما وهما ينسحبان.. فالتفت شون إلى كورت وقال:

ـ إذن لقد ظننت أنها تحتاج إلى النجدة، أليس كذلك؟

دار حول الطاولة ليقف أمام كورت.. كان كلاهما طويلاً وقوي

البنية، لكن آثار السنوات بدأت تظهر على بوشاري، بينما كان كورت في نضارة الشباب واكتماله.. وبدا لغيرلي أن هناك عدائية فورية نشأت بينهما.

أضاف بوشاري بسخرية:

ـ وقررت أن تقوم بعمل بطولي لتؤثر على السيدة.

التفت إلى غيرلي يسأل: هل تأثرت؟

التفت كورت أيضاً ينظر إليها، ووجدت أنها لا تستطيع الرد.

التوت شفتا كورت بابتسامة ساخرة.

ـ يبدو أنني أهدرت وقتي سدى.. فالسيدة لا تحتاج إلى الإنقاذ سوى من نفسها.

قال بوشاري بخشونة:

ـ إذن لِمَ لا تعود من حيث أتيت؟.. سأعيد الأنسة هيبون عندما تكون مستعدة للذهاب.. وفي المستقبل حين تتلقى إنذاراً بالابتعاد، ابق بعيداً.

وضع كورت يديه في جيبي جيزه واستند دونما اكتراث إلى الطاولة:

ـ إما أن تأتي معي أو تبقى هنا معاً.

اجتمع حاجبا بوشاري بتقطيبة غاضبة.

ـ أتريدني أن آمر بطردك من هنا؟

رد كورت بصوت ناعم يحمل تحدياً قوياً.

ـ هيا أرسل وراء عصابتك ودعهم يحاولون إذا كنت لا تقدر على فعل هذا بنفسك.

قالت غيرلي بسرعة:

ـ أنا مستعدة للذهاب الآن.. وأنا آسفة لتطفلي عليك سيد

بوشاري.. وشكراً لك على إقراضي الثياب.. سأرسلها لك حالما أصل إلى كينوس.

أبعد عينيه عن كورت ونظر إليها:

ـ استبقها.. لست مضطرة إلى الذهاب الآن غيرلي. قلت لك إنني سأضع قارباً تجارياً بتصرفك. لمَ لا نبقى لتناول الغداء معي؟ وربما نستطيع أن نتحدث بالمزيد عن سبب مجيئك إلى هنا.

نظرت إليه بسرعة وكلها أمل في أنه سيسمح لها بإجراء المقابلة معه.

رأى شون لمعان الإثارة واللهفة في عينيها وابتسم لها.

ـ لِمَ لا تقولين لصديقنا المتطفل كثيراً أن يرحل؟

قبل أن ترد، تقدم كورت ووضع يده على كتفها بإشارة متملكة:

ـ وربما لم يتوضح لك الموقف تماماً.. فالسيدة هنا هي زوجتي.

ساد صمت قصير متوتر ثم نظر بوشاري إليها وقال ببرود:

ـ هل هذا صحيح؟ هل أنت متزوجة منه؟

شحب وجهها ما عدا بقعتين حمراوين في أعلى خديها.. وأجابت بثبات: نظرياً فقط.

اتسعت عينا شون بوشاري:

ـ إنما ليس عملياً؟

بالرغم من انغراس أصابع كورت في كتفها عميقاً.. ردت غيرلي بثبات: لا.

* * *

٥ ـ لماذا تركتني؟

نوخت غيرلي الحذر فامتنعت عن التفوه بأية كلمة إلى أن رافق حارسان مسلحان كورت إلى الميناء الصغير، وأصعداه إلى مركبه ليقلع مبحراً نحو كينوس.. كان غضبها وسخطها مما فعله يتصاعد طوال الوقت، وحافظ كورت كذلك على صمت مطبق الشفتين وهو يرفع الأشرعة ويبتعد عن فاليبوس.. كان قد أبعد يده عن كتفها لحظة أنكرته، لكنه بقي رافضاً الذهاب بدونها.. لذا لم يكن أمامها سوى الذهاب معه فوراً.

نفخت الريح في الأشرعة الحمراء القاتمة عند خروجهما من الخليج وأخذت حبال الصواري تطقطق والأمواج تتلاطم أمام مقدمة المركب وجوانبه.. لكن غيرلي لم تكن تعي موسيقى البحر والريح لأن أفكارها كانت عالقة تماماً في مشاعرها الخاصة.. والتفتت إلى كورت بشراسة:

ـ كيف تجرؤ على اللحاق بي؟ أي حق لك بعد كل هذه السنوات لكي تظهر هكذا وتبدأ التدخل في حياتي؟ كان يمكنني أن أقتلك!

ضحك ضحكة بغيضة:

ـ لقد أفسدت عليك إغواءك.. أليس كذلك؟ في اللحظة التي كنت تودين فيها إلى الرجل العظيم حسبما رأيت، كان على وشك طلب يدك حين وصلت.

كان هذا قريباً من الحقيقة كثيراً، ولو أنها متأكدة أن شون بوشاري كان يمزح، وأحست نفسها تحمر خجلاً الأمر الذي جعلها تغضب أكثر.

- لا شأن لك فيما كان ينويه بخصوصي.. طريقة عيشي هي شأني وحدي.. لقد تخليت عن أي حق لك في عندما تركتني.

قطب كورت:

- أنت محقة تماماً.. ما تفعلينه لا يعنيني. لقد لحقت بك لأن صحيفتك تتصل بك منذ فجر هذا الصباح.. وكان صاحب النزل قد شاهدنا معاً وحين اكتشف أنك لم تنامي في غرفتك ليلة أمس، جاء إلى مركبي ليرى ما إذا كنت برفقتي..

ابتسم ساخراً:

- بعد أن شرحت له أنني آخر شخص يمكن لك قضاء الليل معه، قال لي إن صحيفتك تريد الاتصال بك بسرعة لأمر ضروري، وطلب مني استقبال المخابرة لأن إنكليزيته ليست طليقة. يبدو أنهم كانوا خائفين أن يكون الرجل الذي من المفترض أن تقابليه قد خدعك. لقد اكتشف رئيسك أن ثمة خدعة حصلت من قبل، وأراد الاتصال بك قبل أن تقعي في أي فخ.

جالت عيناه فيها.. ولاحظ أن ملابسها مختلفة عما كانت ترتديه بالأمس

- وبما أنك اختفيت طوال الليل، فأعتقد أن هذا يعني أنك قد خدعت فعلاً!

- حسناً.. أنت مخطىء في هذا.. كانا ذكيين جداً لكنني كشفت أمرهما.

- كيف انتهى بك الأمر لتكوني مع شون بوشاري إذن؟

قنعت فمها لتخبره القصة بأكملها.. لكنها ترددت.. فمع أنها كشفت أمر المخادعين، إلا أنها تعرف أن كورت سيدينها على أي حال ويتهمها بالحماقة كونها وضعت نفسها في ذلك الموقف الخطير خاصة حين يسمع أنها وقعت عن متن المركب واضطرت إلى السباحة. هكذا ردت باختصار:

- لقد سبق وقلت لك إن هذا ليس من شأنك.

واستدارت لترى كم يبعدان عن كينوس، لكن اللهجة التي قال فيها: خائفة أن تقولي لي؟

جعلتها تلتفت إليه بحدة لتواجهه:

- لا.. لست خائفة... إنما لا أريد.. هذا كل شيء.. ولو لم تتطفل لكنت أقنعت بوشاري بإعطائي قصته.

- أجل.. لاحظت أنك كنت مقنعة معه.. من كان يطلب ود الآخر، أنت أم هو؟

وأصبحت لهجته مهينة:

- أم أنه كان يشكرك على قضائك ليلة أمس معه؟

- أيها..

قفزت على قدميها بمثلها غضب خانق وخطت خطوتين شرستين إلى الأمام، وقبل أن يتمكن كورت من منعها، ضربته بقسوة على وجهه!

بعد هذه الصفعة برز كل الألم الدفين وسخط السنوات السبعة، وتصاعدت المرارة وكأنها طوفان وما عادت تستطيع التوقف:

- أيها الوحش! الحقير!

وأخذت تضربه مع كل نعت بطريقة عمياء قاصدة إيذاءه وجعله يعاني ألماً بقدر ما عانت.

فاجأته أول ضربة لها لكنه رفع ذراعه اليمنى بعدها ليدافع عن نفسه مبقياً اليسرى على الدفة في محاولة لقيادة المركب. ورد ضربات يديها المتطايرة ثم أطلق شتيمة وترك الدفة تماماً حتى أن المركب أخذ يتخبط يميناً وشمالاً.

- أيتها القطة الشرسة!

مد يديه يقبض عليها لكنها كانت في حالة غضب أعمى تضرب صدره بقبضتيها فاستغرق عدة دقائق قبل أن يتمكن من الإمساك بمعصميها ولويهما خلف ظهرها. . حتى وهي في حالتها هذه، كانت غيرلي لا تزال تقاوم وتقاتل بشراسة. وبدأت تضربه برأسها على وجهه فصاح بشتم بوحشية ودس يده في شعرها يشد رأسها بعيداً إلى أن بدأت تئن ألماً.

- اللعنة عليك أيتها القطة المتوحشة! كفي عن هذا!!

وأخذ يهزها بقسوة وصوته غاضب كصوتها تماماً. وحين تركها، وقفت أمامه ترتجف بغضب وتأثر وبدأت الدموع تسيل على خديها. . وفيما هو ينظر إليها، صدرت عنه آهة غريبة مخنوقة:

- أوه. . يا إلهي! غيرلي!

ثم ضمها إليه وعانقها بخشونة وعنف، بدون الاهتمام ما إذا كان يؤلمها أم لا.

حاولت إبعاد نفسها عنه: لا!

لكنه أعادها إليه ووضع ذراعه حولها بينما يده الأخرى تمسك مؤخرة عنقها لئلا تستطيع أن تدير وجهها عنه. ولما أصبح من المستحيل عليها أن تتحرر منه حاولت أن تتصلب، أن تبقي نفسها غير مكترثة لعناقه. . لكن في تلك اللحظات بدأت معركة أقسى مع يده تدفق الذكريات إليها. . كل الأحاسيس المثيرة التي بقيت هاجعة في لا

وعيها تسع سنوات عادت الآن لتتدفق في شرايينها. .

أطلقت صيحة مصدومة وانتزعت نفسها من بين ذراعيه.

- أيها الخنزير المتعفن. . أبعد يديك القذرتين عني!

نظر كورت إليها وأنفاسه متحشرجة متقطعة، وبدا عليه أنه يقوم بجهد عنيف للسيطرة على نفسه.

- كنت تنتظرين هذا. كنت تطلبينه منذ لحظة التقينا.

- أنت مخطىء في هذا. . فهو آخر ما أريده منك.

- كان هذا كل ما أستطيع أن أعطيه لك حينها. . أليس كذلك؟ كان والداك يحرصان على التأكد من هذا.

ردت مرتجفة:

- دع والدي بعيداً الآن. فما فعلاه. .

هزت كتفيها متعبة.

- . . انتهى. ومن الأفضل نسيانه.

نظر إليها بحدة:

- أنت تعرفين إذن أن تدخلهما هو الذي فرق بيننا؟

- أجل. . أدركت هذا بعد رحيلك مباشرة.

- ما كنا لنفترق لولاهما.

انسست غيرلي بمرارة:

- أوه. . أنا واثقة تماماً أننا كنا سنفترق. لو كنت تهتم بي قليلاً لما خرجت وتركتني بدون أن تحاول الكتابة أو الاتصال بي. . وأنا واثقة كذلك أن زواجنا ما كان ليدوم أكثر مما دام. .

وهي تتكلم، كان كورت ينظر إليها متفحصاً وتقدم إليها خطوة:

غيرلي. . أنا. .

ابتعدت عنه لتقول بسرعة:

ـ كورت.. فلندع هذا الأمر.. أرجوك! لقد حدث كل شيء منذ زمن بعيد.. وانتهى أمره الآن. فما فائدة نبش الماضي وإثارة الذكريات الحزينة مجدداً؟

نظر إليها للحظات طويلة ثم قال ببطء: وهل.. يحزنك هذا؟

لم ترد عليه وحاولت أن تدير وجهها عنه لكنه رفع يده إلى ذقنها ليجبرها على النظر إليه:

ـ هل يحزنك.. غيرلي؟

وجدت أنها غير مستعدة للإفصاح عما في نفسها.. فطرحت سؤالاً مضاداً: وأنت؟

خبا لمعان التلهف في عينيه، وتركها ثم ابتسم دونما مرح.

ـ كما سبق وقلت لك.. إن النساء يخلقن دائماً من الأسئلة المباشرة.

ابتعد عنها عائداً إلى دفة المركب فأطلقت تنهيدة ارتياح واستندت إلى سياج سطح المركب تنظر إلى كينوس التي تقترب بالتدريج. صحيح أنها أدركت أن والديها كانا المسؤولين عن انتهاء زواجهما بعد مغادرة كورت لها، إنما هذا لم يكن السبب المباشر. في البداية، بعد مرور أول أسبوع على رحيله كانت متأكدة أنه سيعود بعد أن يجد لهما مكاناً يعيشان فيه، وأنه سيصر على أن تنضم إليه.. لكن مع مرور الأيام بلا أي كلمة أو إشارة منه.. بدأ والداها يتحدثان عن الطلاق. كانت حقيقة هجره لها واقعاً صدمها كثيراً بحيث أنها لم تكن تدرك ما يقولانه.. لكنها عادت إلى رشدها بعد أن حددا لها موعداً مع محامي العائلة، في ذلك الوقت كانت قد عرفت أنها حامل وأخبرتهما بها متوقعة أن يتخليا عن كل حديث عن الطلاق وأن يقوما بما في وسعهما لمساعدتها على إيجاد مكان كورت ومحاولة الإصلاح بينهما.. لكن

ردة فعلهما القاسية أرعبتها، فقد أصرا على وجوب متابعة إجراءات الطلاق وإجهاض ما في بطنها.. وقالت أمها:

ـ أنت لا ترغبين في طفل ذلك المغرور الجاحد للجميل بلا شك؟

لا... بعد كل ما فعله بك.. وبنا؟

وتلا هذا شجار مرير، كان والداها خلاله يحاولان إقناعها وحتى إرغامها على الإجهاض.. لكن غيرلي كانت صنيدة في موقفها وبثبات تأمل أن يتصل بها كورت ثم مات آخر أمل لها بعد مضي مدة أسابيع على رحيله فيما استمر أبواها في تنغيص حياتها، ولما لم تعد تستطيع التحمل أكثر وضبت ثيابها وسحبت المال القليل الذي كانت تودعه في المصرف ثم تركت منزلهما لتعيش في غرفة ضيقة في أحد منازل ضواحي لندن.. في البداية لم يكن الأمر سيئاً كثيراً، فقد وجدت وظيفة نادلة في مطعم للهامبرغر بسهولة.. لكن مع بروز حملها وبطء حركتها صرفت من العمل فبعثت بعنوانها إلى والدها آملة أن يكون كورت قد اتصل به، لكنها لم تتلق أي رد منه ولا من أمها.. حين كتبت لهما مرة أخرى لتعلمهما أنهما أصبحا جدين، عادت الرسالة وعليها عبارة «لم يعد هذا العنوان موجوداً».

حاولت ألا تفكر في كورت أبداً.. فبعد أن عرفت بحملة والديها المتعمدة ضده، فهمت سبب تركه لها وسامحته.. لكن لا شيء يجعلها تسامحه على عدم اهتمامه بما يحصل لها بعد رحيله، وعلى عدم منح زواجهما فرصة للنهوض مجدداً.

التفتت لتنظر إليه يقف طويلاً وراء دولاب الدفة بشعر أشعثه الريح.. لقد كافحت بمرارة لتربي طفلها.. وتساءلت فجأة ماذا قد يقول وماذا سيفعل لو عرف، لو تجرأت الآن وأخبرته.. ابتسمت غيرلي لنفسها بتجهم.. على الأرجح سيعيدها حتماً إلى كينوس بأسرع وقت

ممكن ثم يستدير ليعود إلى أوستراليا، أو إلى أي مكان بدون لحظة توقف.. حتى لا يواجه إمكانية أن يتحمل مسؤولية زوجة وطفل لا يريدهما، وأصبحت ابتسامتها أكثر مرارة.. ربما قد يسألها السؤال التقليدي. ومن هو الأب المحظوظ؟.. وفيما هي تراقبه، رفع رأسه لينظر إلى الصاري، وخفق قلبها بذهول. ما من داع للتساؤل عمن هو والد دارن فهو يرفع رأسه بالطريقة عينها بالضبط وبذات العينين الزرقاوين الطويلتي الرموش والذقن الصارم الثابت.. وما من أحد سيراهما معاً، يمكن أن يسأل أبداً عن أبوته.

أدار كورت رأسه فجأة وضبطها تراقبه.. التقت عيناه بعينيها وأسرتاهما بثبات إلى أن تذكرت ذلك المناق المؤلم فأخفضت نظرها بسرعة وعلا احمرار بسيط وجنتيها.

قال: هل ستعودين إلى انكلترا الآن بعد إنهاء مهمتك؟

ـ أجل.. لا شيء هنا أبقى لأجله.. سأغادر غداً صباحاً.

هز رأسه: ما من مركب قبل يوم الأربعاء.. وأمامك يومان من الانتظار.

تردد قليلاً.. ثم:

ـ كنت أفكر في السفر إلى ساموس. إنها جزيرة على بعد نصف يوم من هنا.. وإذا أحببت، بإمكاننا السفر غداً وقضاء الليل هناك ثم نعود بعد الغد كي تتمكني من اللحاق بالمركب يوم الأربعاء.

قالت غيرلي بجرأة بعد أن أجفلتها دعوته المفاجئة:

ـ لماذا بحق الله تريد أن تأخذني؟

هز كتفيه:

ـ أنت بلا عمل يشغلك، وفكرت أن هذا سيسليك.

نفخت أنفها بسخرية:

ـ لا أعتقد الأمر مسلياً.. أن أقضي مثل هذا الوقت في وقتك، في وقت لا نستطيع فيه تبادل جملتين بدون إهانة بعضنا بعضاً.

قال كورت:

ـ ربما يجب أن نجرب لهذا السبب بالذات.. لنرى لماذا لنا مثل هذا التأثير على بعضنا.

ردت عابسة:

ـ لكن هذا واضح.. إنه بسبب ما حصل بيننا في الماضي.. طبعاً.

ـ حقاً! سبع سنوات زمن طويل، غيرلي.. كنت لا أزال تلميذاً حينها.. وأنت فتاة مدرسة.. تغير كلانا وأصبحنا راشدين.. يجب أن تزول الأيام السيئة التي مررنا بها من ذاكرتنا لئلا تؤثر على مشاعرنا الآن.

كان ينظر إليها بثبات وهو يتكلم، وهذه النظرات إضافة إلى كلامه، هي التي لجمت الرد الخشن الذي كانت تنويه غيرلي. بدلاً من هذا استدارت تنظر بعمى نحو البحر، وتمتمت:

ـ أنا.. لست أدري.

ـ فكري بالأمر.. ربما لو تكلمنا عن كل شيء..

قاطعته بحدة:

ـ لا! ما فائدة الاستجواب الآن؟ لقد تعفنت الجثث في قبورها!

صمت كورت لحظات، ثم قال:

ـ حسن جداً.. إذا كان هذا ما تريدينه.. تعالي إذن للنزهة فقط.

ـ لا أعرف.. يجب أن أفكر في الأمر.

صمتا معاً إلى أن وصلا ميناء ميلسيا. أوقف كورت المركب وقفز من فوق سياج سطحه إلى الرصيف بخفة، ثم مد يده ليساعدها، لكنها تعثرت، واضطر أن يلتقطها لئلا تقع ويحملها إلى الرصيف.

شهقت بعد أن وجدت نفسها محمولة وملتصقة به، ذراعه ملتفة حول خصرها بثبات.. تابع للحظة حملها، عيناه قريبتان من عينيها ووجهه من وجهها.. فكرت غيرلي للحظات مجنونة أنه سيعانقها وأجفلت. لكنه قال:

ـ سأكون في التراڤيرنا في الثامنة من هذا المساء. يمكنك إخباري ساعتها ما إذا كنت تريدين الذهاب إلى ساموس غداً أم لا.

أنزلها بشكل مفاجيء أجفلها ثم أحنى رأسه باقتضاب مودعاً وقفز إلى مركبه مجدداً وراح يشغل نفسه في طوي الأشرعة.

بدأت غيرلي تسير ببطء نحو التراڤيرنا وقلبها لا زال يخفق في صدرها.. عادت أفكارها إلى شجارهما الذي حدث على المركب.. قال كورت إنها هي التي سعت إلى الشجار ملمحاً أنها تعمدت استفزازه كي ينتهي بهما الأمر إلى ما انتهى إليه.. لكن هذا غير صحيح إطلاقاً.. كل ما كانت تريده هو أن تؤلمه، حين بدأ يعانقها قاومته بكل وسيلة كانت في قدرتها.. لكن، مع استمرار المقاومة، ثارت في نفسها ذكريات الأيام الطيبة.. الأيام الرائعة السعيدة.. حين كان حبيباً متشوقاً إليها. حتى الآن.. لا تزال لهذه الذكرى قدرة على بعث القشعريرة في جسدها وإثارة أحاسيس وأشواق دفينة في أعماقها.

توقفت غيرلي فجأة تلعن نفسها على غبائها. كانت تتصرف كعانس مريرة محبطة.. وهذا ما كان الأمر عليه حقاً.. مجرد حلم مدفون أعاده كورت بفظاظة من الماضي البعيد المعتم إلى الحاضر... أعاده بوضوح بحيث أنه لما ساعدها على النزول من المركب وأمسكها بين ذراعيه، أرادته أن يعانقها بشغف.. ارتجفت وأجبرت نفسها على صرف تفكيرها عن هذا الحدث، فالأمر المهم الآن أن هذا الرجل تخلى عنها منذ زمن.. وكل شيء عدا هذا يجب أن يبقى دفيناً لمصلحتها

ولمصلحة ابنها الصغير، يجب ألا تسمح للذكريات القديمة بالتطفل على حياتها الآن. الطريق الذي اختارته هو طريق موحش في اتجاه واحد لا يشمل رفقة رجل، ولن يشمل إطلاقاً كورتيس ماكسويل! لقد سلمته نفسها يوماً مع حبها وثقتها.. وهي لن تفعل هذا مجدداً!

لكن لا زال هناك مشكلة النزهة إلى ساموس وعليها أن تفهم أسرارها.. هل دوافعه محبة للخير لا أكثر ولا أقل؟ لم تستطع فهم سبب سعي كورت إليها في جزيرة شون بوشاري.. لا يمكن أن يكون هذا حب تملك أو غيرة، فلو كان يحس بهذين الإحساسين نحوها تركها أصلاً. مع أن الطريقة التي وقف فيها في وجه المليونير كانت تدل قطعاً على قول: ارفع يدك عنها.. إنها لي.

توقفت خارج التراڤيرنا والتفتت تنظر إلى المركب فوجدت كورت يطوي آخر شراع. تعرف الآن أنه بالرغم من كل الحزن والألم ما كانت لترفض مطلقاً أن تفوتها ذكرى تلك الأشهر الرائعة المثيرة حين كانا لا زالا حبيبين.

عند دخولها إلى التراڤيرنا أخبرت غيرلي صاحبها الذي بدا عليه الارتياح أنها سليمة تماماً، ثم صعدت إلى غرفتها لتبدل الملابس التي أعارها إياها شون بوشاري.. لقد قال لها إن بإمكانها الاحتفاظ بها، لكنها مصممة على إعادتها لتريح ضميرها حتى وإن كان مصيرها الرمي في القمامة.. تأرهت غضباً وحزناً على فشل مهمتها.. الأسوأ من هذا أنها خسرت معدات تصويرها الثمينة وتستطيع تصور وجه رئيسها حين تقول له هذا. وغاصت معنوياتها إلى الحضيض.

نامت خلال معظم ساعات بعد الظهر، ثم نزلت إلى الشاطيء لتسبح وتتشمس لساعة أو يزيد قبل أن تغير ملابسها للعشاء.. أثناء هذا الوقت لم تفكر في شيء سوى دعوة كورت لها.. وعندما نزلت لتقابله

في الثامنة لم تكن قد اتخذت قرارها بهذا الشأن..

كان كورت ينتظرها عند إحدى الطاولات في الفناء، يرتدي بذلة «سافاري» خفيفة.. وقف وهي تسير نحوه وراح ينظر إليها بإعجاب.. ووجدت غيرلي نفسها غير قادرة على ملاقاة عينيه فجلست بسرعة تشغل نفسها بترتيب الوشاح الذي كانت تضعه حول كتفيها. تعطي نفسها الوقت لتلملم شتات أفكارها قليلاً لتتمكن من مواجهته بدرجة ما من الوقار.

خشيت غيرلي أن يتطرق إلى الموضوع مباشرة ويسألها عن قرارها.. لكنه سألها ماذا تريد أن تأكل.. ثم أخبرها أموراً عن عمله، وشرح ماذا تفعل وإلى أين حمله عمله خلال السنوات السبع الأخيرة.. ثم جاء دورها في الحديث وأصبح وجهها مفعماً بالحيوية وهي تتكلم بحماس عن عملها.. فيما بعد أعاد كورت الحديث بمكر إلى مواضيع خاصة.

- واضح أنك كنت ناجحة تماماً في مهنتك.. ما الذي جعلك تفكرين فيها أصلاً؟ لا أذكر أنك كنت تحبين هذا حين كنا معاً.

رفعت كأس العصير تلف أصابعها حول حافته:

- لا.. قررت هذا بعد.. أن رحلت عني.

صمتا للحظات إلى أن قال كورت:

- لكن لماذا التصوير الصحفي؟

- كان الأمر صحافة في البداية.. وجاء التصوير فيما بعد حين أصبح لدي الوقت الكافي.. أردت عملاً أستطيع القيام به أو بمعظمه في البيت ويمنحني وقتاً حراً لأهتم بـ.. بأمور أخرى.

- مثل الحياة الاجتماعية المعتادة عليها.. حفلات الكوكتيل، الرقص، صبحيات القهوة التي ما كنت قادرة على العيش بدونها.

ارتفع ذقنها وردت بسخرية باردة: طبعاً.. وما غيرها؟

بدت نظرة حيرة في عينيه الزرقاوين:

- وما رأي والديك بعملك؟ هذا ليس بالضبط ما كانا يفكران فيه لك.. أليس كذلك؟

أعادت غيرلي اهتمامها إلى كأسها مجدداً:

- لا شأن لهما بكل هذا.. في الواقع، لم يعرفا أبداً بأمري.. وعلى الأرجح لا زالا هكذا.. أنا.. تركت المنزل بعد وقت قصير من تركك له.. ولم أر والدي منذ ذلك الوقت.

نظر كورت إليها غير مصدق.

- تركت المنزل؟ ألم يحاولا منعك؟ كنت في السابعة عشرة فقط.. تحت السن القانونية. هما بالتأكيد..

قاطعته بحدة:

- إنس هذا.. لم يعودا الوصيين القانونيين علي.. بل أنت. وبما أنك لم تكن موجوداً لتبدي رأيك بالموضوع..

تركت الجملة بدون إنهائها، وما لم تقله كان مؤثراً كالذي قالته تماماً.

قال بحدة:

- لماذا غيرلي؟ لماذا تركت المنزل؟ أكان هذا بسبب ما حدث بيننا، لأنك أدركت أنهما من.. من وقف بيننا؟

أسندت ظهرها إلى كرسيها تنظر إلى أمواج البحر المتلاطمة بلطف عند الشاطىء، وهي تفكر كم يجب أن تقول له.. لم أجابت ببطء شديد:

- أساساً، هذا هو السبب.. لكن هناك أشياء أخرى.

- أية أشياء أخرى غيرلي؟

وردت، تتكلم بصعوبة:

- أرادا.. أراداني أن أحصل على الطلاق فوراً. لكنني رفضت.. وتشاجرنا.. ثم رحلت.

أجفل كورت ومال إلى الأمام، عيناه على وجهها.

- ولماذا لم ترغبي في الطلاق؟

- لأنني..

بدأت يدها ترتجف فوضعت الكأس بسرعة وأرادت أن تبعدها إلى حجرها، لكن قبل أن تفعل أمسك بها كورت بثبات لم تستطع الخلاص منه.. فرفعت عينين بدا فيهما الخوف فجأة.

- أرجوك كورت.. لا أريد التحدث عن هذا..

حاولت شد يدها منه لكنه لم يتركها.

- لا غيرلي.. لا يمكنك التوقف الآن.. يجب أن تتابعي.. لماذا لم ترغبي في الطلاق؟

نظرت إليه غير قادرة على إخفاء ضعفها:

- لأنني.. في البداية.. فما ترى... أنا.. ظننتك ستعود.

اشتد ضغط يده على يدها إلى أن آلمها.. عضت على شفتها ونظرت إلى البعيد صامتة للحظة طويلة.. ثم تغير صوتها تماماً ليصبح أجشاً مريراً.. وتابعت:

- فيما بعد، بعد أن تأكدت أنك رحلت إلى الأبد لم يعد هناك جدوى من الطلاق.. فما الفائدة من التحرر وليس في نيتي الزواج ثانية؟ ربما كنت حمقاء يوم تزوجتك.. لكنني لم أعد بمثل هذا الغباء.. وإذا كنت قد تعلمت شيئاً من الأشهر القليلة التي قضيتها معك، فقد تعلمت ألا أثق برجل بعد اليوم!

كانت مشاعرها تسبب الارتجاف لها، نظرت إليه فوجدته يتأملها

بتعبير غريب مريب في عينيه. مال إلى الأمام فوق الطاولة وقال بإلحاح:

- غيرلي.. أنت لم تحصلي على الطلاق.. فهل خطر لي بالك أن تتساءلي لماذا لم أحصل أنا عليه؟

ابتسمت ابتسامة متكسرة:

- مرة واحدة فقط.. لكن عندما أدركت ما سيكون الرد، لم أرغب في التفكير فيه مرة أخرى.

ارتفع حاجباه: وما هو الرد الذي توصلت إليه؟

- الرد الصحيح.. من الملائم لك لبقاء متزوجاً لأنها وسيلة للخلاص من أي التزامات مع أي امرأة تريد تقييدك.

لمعت عيناه بغضب وأحست بأصابعه تشتد على يدها مرة أخرى. لكنه سرعان ما استرخى ليقول:

- أولم يخطر في بالك كذلك أنك قد تكونين مخطئة؟ وأن سبب عدم طلبي للطلاق قد يكون مماثلاً لأسبابك؟ وأنها قد تكون أبعد من هذا؟

نظرت إليه، وجف حلقها فجأة: ماذا.. ماذا تعني؟

- غيرلي.. أنا لم أهجرك.. بل..

- عذراً.. آنسة هيسون؟

رفعت غيرلي رأسها بحيرة لترى رجلاً في بذلة بحارة رسمية يقف قرب الطاولة.

- أجل.. أنا غيرلي هيسون.

انحنى الرجل احتراماً:

- أنا أعمل لدى السيد بوشاري سيدتي.. وطلب مني إيصال هذا لك.

مد يده بحقيبة معدات التصوير والمسجلة التي لا زالت سليمة.

- أوه.. لقد وجدتموها! أوه.. ما أروع هذا! كنت واثقة أن الرجلين سيرميانها في البحر خلفي.

- لا سيدتي.. لقد وجدت سليمة على المركب.

أخرج مغلفاً أبيضاً من جيبه وأعطاه لها:

- طلب مني السيد بوشاري كذلك أن أعطيك هذه الرسالة.. وأنتظر الرد.

أخذتها منه وفتحت المغلف، تعي بدون أن تنظر أن كورت يقطب ساخطاً.

كانت الرسالة مختصرة ودقيقة:

«ربما تكونين محقة في أنني يجب أن أعلن قصتي. لمَ لا تأتين إلى فالبوس غداً لنناقش المسألة أكثر؟ المخلص: شون بوشاري».

لم تصدق غيرلي حظها فالتفتت بدون تردد إلى الرجل:

- أرجوك، قل للسيد بوشاري إن الرد هو نعم.. سأكون مسرورة جداً بزيارته غداً.

- حسن جداً سيدتي، سيأتي اليخت ليقلك في العاشرة من صباح الغد.. إذا كان هذا يلائمك؟

- سيكون هذا ملائماً جداً.. شكراً لك.

انحنى الرجل مرة أخرى وتركهما لوحدهما مجدداً.

قال كورت بصوت متزمت:

- أفهم من هذا أنك لن تأتي معي إلى ساموس غداً؟

- لا.. أنا آسفة كورت، لكن هناك إمكانية أن يعطيني شون بوشاري المقابلة.. ولا أستطيع تحمل خسارة فرصة كهذه.

- ولا حتى لأجل ارتباط مسبق؟

- لم أقل إنني سأذهب معك قطعاً.. كورت.

- هذا صحيح.. إذن.. ستذهبين إلى فالبوس تركضين إذعاناً لأوامر شون بوشاري حالما يفرقع بأصابعه لك.. وهل أنت مستعدة للقبول بشروطه مقابل إجراء حوار معه؟

شحب وجهها:

- ماذا تعني بقولك هذا؟

- تعرفين جيداً ما أعني؟ إلى أي مدى أنت مستعدة للمضي في سبيل هذه القصة؟

وقفت بغضب، لكن كورت مد يده وأمسك ذراعها.

- أوه.. لا.. لن تهربي من هذا السؤال.

استخدم قوته وأجبرها على الجلوس، فنظرت إليه بغضب شديد يزيده غضبها على ضعفها أمامه..

- أتركني.. أيها المتوحش!

ضحك كورت بخبث:

- لن أتركك قبل أن أكون مستعداً.. لقد بدأت أدرك كم تغيرت.. أخبريني، أين علموك تسليم نفسك في سبيل قصة.. في معهد الصحافة؟

التهبت عيناها:

- كيف تجرؤ! لمعلوماتك.. أنا لم أستخدم أنوثتي يوماً لأحصل على قصة.. ولا أنوي أن أبدأ الآن!

- لا؟ عندما وجدتك مع شون بوشاري كنتما تمسكان بأيدي بعضكما.. وقطعاً لم تكونا تتصرفان كغريبين التقيا لتوهما.

هزت غيرلي كتفيها بعجز وقالت:

- كانت تلك مجرد.. مزحة.. ردة فعل على سؤال طرحته.

رفع كورت حاجبيه غير مصدق، فأضافت:

- صدق أو لا تصدق، فأنا لا أهتم.. لست مضطرة للدفاع عن نفسي أمامك. لا يعني عيشنا لبضعة أشهر تحت سقف واحد أن لك الحق في سؤالي الآن.

قاطعها كورت متجهماً:

- وتشاركنا الفراش، لا تنسي هذا!

وهذا ما أسكت غيرلي كما لم يسكتها أي شيء آخر.. نظرت إليه للحظات طويلة وعيناها متسعتان في وجهها الشاحب.. ثم أحنت رأسها ورفعت يدها لتسند وجهها بها.

ترك ذراعها وحرك يده ليغطي يدها وهو يقول بلهفة:

- غيرلي.. أرجوك.. لا تذهبي لرؤية شون بوشاري غداً.. تعالي معي إلى ساموس.

بدأت تهز رأسها:

- لن يكون هناك جدوى.. لا شيء لدينا نقوله لبعضنا.. و..

قاطعها بسرعة:

- بلى.. هناك الكثير غيرلي.. لدي أشياء أقولها لا تعرفينها.. أشياء قد يكون لها تأثير كبير.

ردت بثبات:

- لا.. جئت إلى هنا لأعمل. وهذا يجب أن يكون له الأولوية.. أنا لست في إجازة مثلك كما أنه لدي مسؤوليات..

ارتفع حاجباه دهشة: أية مسؤوليات؟

عضت شفتها وصححت زلتها بسرعة:

- لصحيفتي بالطبع! إنهم لا يدفعون لي لأتجاهلهم لمجرد دعوة إلى نزهة بحرية.. ولو سمعوا أنني تخليت عن فرصة كهذه

فسيطردونني حتماً..

جلسا لبضع لحظات في صمت متوتر. وتساءلت غيرلي ماذا يريد أن يقول لها، أشياء لا تعرفها كما قال. ربما ابتدع هذا ليقنعها بالذهاب معه.. لكنها ما لبثت أن صرفت النظر عن هذه الفكرة، فهو لم يكن مخادعاً يوماً.. وفتحت فمها لتسأله لكنه سبقها إلى الكلام:

- عندما أعطاك الرجل أدوات التصوير قلت إنك خشيت أن يكون الرجلان رميا خلفك في الماء. فماذا عنيت بهذا؟

ارتبكت غيرلي: آوه.. هذا.. لا شيء.

نظرت إلى ساعتها وشهقت:

- يا الله.. الحادية عشرة والنصف.. شكراً على العشاء كورت.. وآسفة لأنني لن أستطيع المجيء معك غداً.. أعتقد أنك ستسافر قريباً، لذا سأقول وداعاً وليلة سعيدة في حال لم أرك مرة أخرى.

ثم ابتسمت له ابتسامة زائفة قبل أن تبتعد مسرعة.

أغلقت غيرلي على نفسها باب غرفتها يرافقها إحساس بالارتياح ووضعت الحقيبة على الطاولة بدون أن تتفحصها، فقد كانت متعبة.. بدأت قلة النوم في الليلة السابقة تؤثر عليها ولم تساعدها الساعات الأخيرة التي أمضتها مع كورت على الارتياح.. وجلست في سريرها مستندة باسترخاء إلى الوراء وهي مغمضة العينين.

أجفلها القرع الحاد على بابها فنهضت آلياً لترد.. لكن عندما فتحت الباب ورأت كورت يستند إلى إطاره، استفاقت تماماً وتحركت على الفور لتصفق الباب في وجهه، لكنه وضع قدمه في الطريق لمنعها ثم دخل بهدوء وهو يقفل الباب خلفه.

قالت بغضب مستعر في عينيها المشتعلتين:

- إذا لم تخرج في هذه اللحظة.. سأبدأ بالصراخ طلباً للنجدة!

ارتفع حاجبه الأيسر سخرية:

ـ هيا افعلي.. لكن لا تنسي أن الناس هنا لديهم أفكار تقليدية عن حقوق الرجل على زوجته، وهو يزور غرفة نومها متى يشاء.

قاطعته بشدة:

ـ لكنهم لا يعرفون أنني زوجتك.. فأنا لم أعد أستخدم اسمك.

ـ لكنهم سيعرفون متى أريتهم الصورة التي أحتفظ بها في محفظتي.. أنت في ثوب العرس الأبيض، وأنا في البذلة البيضاء التي أصرّ عليها والداك.

شحب وجهها:

ـ أنت.. لا زلت.. تحمل تلك الصورة معك؟

ـ لا يعرف المرء متى يستفيد منها.

ردت ساخرة:

ـ أستطيع تصور هذا.. لماذا جئت كورت؟

لم يرد، لكنه انتظر ريثما نظرت إليه مجدداً ورأت الابتسامة الساخرة الكسولة على شفتيه قبل أن يرفع يده عن جانبه ويمدها ممسكاً بذارعها:

ـ لقد تركت هذا وراءك.. كان قد وقع عن ظهر كرسيك.

ـ أوه! أنا.. نهمت!

تقدمت ببطء ومدت يدها تأخذه منه ثم توقفت فجأة. كانت عيناه تحدقان في عينيها وقد تلاشت السخرية منهما وحل مكانها لمعان مختلف تماماً.. وقال بصوت منخفض ناعم: تعالي إلى هنا.

بدأت ترتجف وقالت بتوسل متلعثم:

ـ لا.. كورت.. أرجوك.. لا.

لكنه ترك الوشاح يقع من يده، ووضع كلتي يديه على كتفيها

ليجذبها بلطف إليه.. عانقها ببطء متعمد عناقاً خفيفاً سريعاً جعلها تشتعل.. وتحركت لتلتصق به. وسمعته يتأوه، فرفعت ذراعيها تلفهما حول عنقه ترد عناقه باشتياق شرس.

ارتفعت يده تتسلل في شعرها، وأرجع رأسه إلى الوراء ينظر إليها.. ثم قال بصوت أجش مضطرب:

ـ لطالما كانت العلاقة رائعة بيننا غيرلي.. وكانت كذلك بالنسبة لك، أليس كذلك؟

ـ أجل.. وأنت تعرف هذا.

تمتم: أريدك حبيبتي.. كما كنا يوماً.

ربما كانت آخر جملة أو ربما لفظة التحبب التي لم يستخدمها حين كانا معاً، هي التي أعادت غيرلي إلى واقعها وجعلتها ترتجف فجأة وكأنها تشعر ببرد شديد، فتحركت مبتعدة عن ذراعيه بتعمد.. نظر إليها بدهشة وعيناه قاتمتان ونبضاته غير مستقرة. قالت متصلبة:

ـ أظنك فهمت خطأنا.. أليس كذلك؟ أنت لا تريدني كما كنا وإنما مجرد علاقة عابرة معي، لأن هذا ما سيكون الأمر عليه.. مجرد علاقة عابرة.

ـ لا غيرلي.. ليس الأمر هكذا.

لكنها ابتعدت عنه، وقالت بصوت بالس مرير:

ـ لا؟ ماذا تحاول أن تقول لي إذن؟ إنك لم تتوقف عن حبي، أم إنك الآن بعد أن رأيتني، وقعت في حبي مجدداً؟

هبطت يداه إلى جانبيه.. وقال ببطء: أجل.. شيء من هذا.

ضحكت ساخرة:

ـ ستكون مجنوناً بلا ريب لو توقعت مني أن أصدق هذا.. لو كنت تحبني حقاً لما تركتني.. فالناس عادة لا يتخلون عمن يحبونهم.. إذا

كانوا يهتمون فعلاً بهم.. لكن ربما لا تعرف هذا.. ربما ظننت أني سأقع بين ذراعيك كما فعلت يوماً.. حسن جداً.. أعترف أنك لا زلت تؤثر عليّ، وهذا كل ما تريد.. أليس كذلك؟

أضافت بصوت مرتجف:

ـ أنت تريد فقط أن تبرهن لنفسك أنك قادر على إغوائي.. وأنك بعد كل هذه السنوات لديك القدرة على السيطرة عليّ.. حسن جداً.. أعترف لك بهذا.. فلمَ لا..

خطا إلى الأمام يمسك مرفقيها ويشدها نحوه:

ـ لكنني لم أفعل.. وهل فعلت؟ ليس حتى الآن..

نظرت إليه بخوف مفاجىء:

ـ ماذا.. ماذا تعني؟

ـ تعرفين تماماً ما أعنيه.. أنت تتركين عقلك يتحكم بعواطفك كي تتراجعي في آخر لحظة.. أنت جبانة غبرلي.. أنت على استعداد للإذعان إلى كلامي على أمل أن أكتفي وأتركك وشأنك، لكنك تحافين الاستسلام الكامل في حال وجدت أن ما تشعرين به نحوي هو أكثر من مجرد حاجة جسدية.

قاطعته متحدية:

ـ الأمر هكذا تماماً.. مجرد حاجة جسدية.. ولطالما كانت هكذا!

تركها وارتفع حاجباه:

ـ حقاً؟ أنا لم آخذ منك يوماً أي شيء لم تكوني على استعداد تام لأن تعطيني إياه.

سألت بصوت أجش مجروح:

ـ لا؟ وماذا عن آخر مرة؟ حتماً لم أكن أريد بومها!

اشتد ضغط فكه:

ـ كان ذلك.. مختلفاً.

ـ أجل، مختلف بشكل لا يمكن نسيانه!

ساد صمت متوتر قصير قطعه كورت:

ـ لم ينته الأمر بيننا غبرلي.. لقد بقي الكثير الكثير لم نقله، والكثير من الجروح القديمة التي لم تلتئم، ولن نستطيع أن نبتعد عن بعضنا نهائياً.. تعرفين تماماً كما أعرف أننا سنتواجه ونثير ذكرياتنا مجدداً.. وقريباً!

انحنى يلتقط الدثار ويرميه على السرير.. ونظر إليه لحظة ثم قال بسخرية:

ـ أحلاماً حلوة غبرلي.

وخرج يغلق باب الغرفة وراءه.

* * *

٦ - يزرع جرحاً جديداً

وصل يخت شون بوشاري بقيادة قبطانه الذي جاء بالرسالة إلى غيرلي في التاسعة تماماً من الصباح التالي.. صعدت إلى متنه فأبحر بها فوق بحر هادىء إلى فالبوس.. عند المرسى قابلها خادم إنكليزي وقور قادها إلى حيث كان شون بوشاري ينتظرها في غرفة كبيرة تطل على الحديقة.

تقدم بوشاري ليحييها فور دخولها وابتسامة كسولة على وجهه الوسيم.

- صباح الخير غيرلي. أعتقد أنك الآن قد استعدت عافيتك تماماً بعد وقوعك في البحر؟

ابتسمت:

- أجل، شكراً لك.. أنا بخير تماماً.. وشكراً لك على إقراضي الثياب سيد بوشاري.

ومدت له يدها بكيس يحوي الثياب لكنه أزاحه بيده:

- أعتقد أنني طلبت منك أن تحتفظي بها. واسمي شون.

وضع يده تحت مرفقها وقادها إلى أريكة واسعة، ثم صب لها عصير البرتقال مع الصودا، وجلس إلى جانبها واضعاً ذراعه على ظهر المقعد.. جالت عيناه فيها بتفحص وكأنه يقيمها مرة أخرى.. لكن غيرلي ودت نظرته بثبات وبلا وجل. فابتسم وتجعدت زاويتا عينيه، ثم

قال بخفة:

- قولي.. هل من الممكن أن يقتحم زوجك علينا المكان مرة أخرى اليوم؟

هزت رأسها تعني التحذير في صوته: لا أظن هذا.

- عظيم.

ووقف.

- ما رأيك بمشاهدة معرض صوري؟

اتسعت عينا غيرلي دهشة.. من المعروف أن شون بوشاري يمتلك مجموعة فنية نادرة عظيمة بما فيها مجموعة لوحات من الفن الانطباعي الفرنسي تُعد الأثمن في العالم. لكنه كان بخيلاً جداً في هذه المسألة، فهو لم يقرض لوحة منها لمعرض ولا سمح للخبراء أو لجامعي اللوحات بتفحصها أو تصويرها، كما أنه لم يدعُ أياً من أصدقائه للتفرج عليها.. هكذا أحست غيرلي بأنها متأثرة بالحظوة التي تنالها منه..

كان معرضه يشابه سرداباً له أبواب فولاذية ضخمة، لوحاته معلقة على جدران بيضاء مضاءة بأنوار كهربائية، وكانت ألوان الفنانين المبدعين تقفز إليها في القاعة الطويلة الخالية.. نظرت إلى اللوحات الرائعة التي لا تعد وغمرها حزن لا حدود له بسبب وجود هذه الروائع الفنية العظيمة في مكان هكذا مخصصة لمتعة رجل واحد.

ازدادت صمتاً فنظر شون إليها بدهشة:

- ألا يثير الفن اهتمامك؟

- بلى.. كثيراً.. كنت أمضي ساعات طويلة في معارض الفن في لندن.. كانت الأماكن الوحيدة التي أستطيع الذهاب إليها والتمتع فيها بدون دفع شيء..

- لكن هذه اللوحات لا تعجبك؟

قطبت وأجابت ببطء:

ـ بالطبع تعجبني. إنها لوحات رائعة.. لكن.. أنا آسفة، لكنني لا أستطيع منع نفسي من التفكير بأن مثل هذا الجمال يجب ألا يكون محبوساً هكذا.. يجب مشاركتها كي يراها الجميع.. وأنا واثقة أن من رسمها لم يكن يرغب أن تختفي عن الأنظار هكذا.

ـ أعتقد أنك واحدة من الناس الذين يظنون أن اللوحات العظيمة يجب أن تكون في المعارض العامة.. لكن ألم يخطر في بالك أن اللوحة لا تدوم إلى الأبد.. وأن من الواجب الإبقاء عليها في حالة ممتازة لحفظها أطول مدة ممكنة؟ منذ أيام استعاد البوليس الإيطالي لوحات سرقت من معرض صغير قبل عدة أشهر.. لكن اللصوص خزنوها في مكان قديم حيث عبث بها الدجاج وأتلفها المطر والثلج فلم يعد من مجال لإصلاحها، على الأقل أعرف أن شيئاً مماثلاً لن يحدث أبداً لهذه اللوحات وهي هنا.

ضحكت غيرلي بخفة ورفعت يديها استسلاماً:

ـ حسن جداً.. حسن جداً.. أعترف أن هناك وجهاً لكل عملة.. لكنني لا زلت غير موافقة على أنها يجب أن تخفى هكذا.

ضحك شون بدوره، ولمعان الموافقة والإعجاب في عينيه، لكنه استمر يجادلها في الموضوع بطريقة ودية وهو يخرجها من المعرض ويقفل الأبواب الفولاذية خلفهما بالضغط على أزرار جهاز إلكتروني في الجدار.

جال بها بعد ذلك على ما تبقى من المنزل، يلعب دور المرشد وهو يشير إلى المنحوتات وأشياء فنية أخرى في مختلف الغرف. خطر في بال غيرلي أنه يحاول التأثير عليها بثرائه.. لقد بدا لها على غير عادته في الاهتمام بصحافية مجهولة نسبياً تطفلت على خصوصياته. وأخذت

تنظر إليه بتقطيبة محتارة، ماذا يمكن أن يكون السبب؟

تناولا الغداء على الشرفة في ظل تعريشة ياسمين.. كانت وجبة رائعة مزيجاً من معظم الأطباق اليونانية والفرنسية. خصص شون نفسه أثناء الطعام لتسليتها، يجعلها تضحك لقصص من ماضيه حول الأغنياء والمشاهير الذين التقى بهم. كان راوياً بارعاً وذكياً يعرف بالضبط كيف يعفي التفاصيل لقصصه، بحيث استمتعت غيرلي كثيراً وتبللت عيناها بدموع الضحك.

ابتسم شون أخيراً وقال:

ـ تكلمت كثيراً.. فما رأيك بإخباري شيئاً عنك؟

ـ لكنني قلت لك كل شيء عن عملي أثناء الفطور بالأمس.

ـ وقلت لي كذلك ألا التزامات لك.. وبعد عشر دقائق، ظهر زوجك.. هل كان هو الرجل الذي انتزع الحب من حياتك؟

نظرت إلى الطاولة: شيء من هذا.

نظر إليها شون متفرساً:

ـ ما الذي بينكما إذن؟ هل أنتما منفصلان، مطلقان، أم ماذا؟

ـ أعتقد أن بالإمكان تسميته انفصالاً.. مع أننا لم نستشر محامين لجعل الأمر قانونياً.

قطب:

ـ لماذا هو معك الآن إذن؟

رفعت رأسها:

ـ اسمع.. هل يجب أن نستمر في هذه الأسئلة؟ أنا واثقة أن زواجي لا يهمك أبداً.. لذا فأنا أفضل نسيان الموضوع إن كنت لا تمانع

رد بلهجة قاسية جعلت عيني غيرلي تدمعان دهشة:

ـ لكنني أمانع. أريد معرفة وضعك بالنسبة لزوجك، غيرلي.. وأريد أن أعرف بالضبط ما هي مشاعرك نحوه.

أجفلت غيرلي بسبب عنفه المفاجيء.. وقالت ببطء:

ـ إنه ليس معي، كان هنا عندما وصلت.. إنه يقوم برحلة بحرية حول الجزر اليونانية.. وجودنا معاً هو محض صدفة. لقد جئت لأجري المقابلة معك.

ـ ألم يكن يعلم أنك قادمة؟

هزت رأسها تقول بإصرار: لا.. لا يمكنه أن يعلم.

ـ متى آخر مرة التقيتما فيها أو كتبت له؟ ربما ذكرت هذا ونسيته.

ابتسمت بخشونة:

ـ أوه.. لا.. هذا مستحيل تماماً. نحن لم نرَ بعضنا أو نتصل ببعضنا منذ سبع سنوات.

نظر إليها بذهول:

ـ سبع سنوات! كنت صغيرة بومها بلا ريب.

ـ كنت في السابعة عشرة.. وكما تقول صغيرة جداً.

امتدت يده لتغطي يدها: ما الذي حدث؟

نظرت إليه بسرعة، كان في عينيه نظرة لطف واهتمام أماتت كلمات الرفض. واشتدت يده على يدها يطالبها مجدداً: أخبريني!

ـ لا يوجد الكثير لأخبرك به. كان كلانا صغيراً جداً.. خاصة أنا. وعشنا مع والدتي اللذين لم يتفقا مع كورت.. هكذا تركني ورحل.. بعد أن نسي أن يأخذني معه.

ـ كم دام زواجكما؟

ـ حوالي الستة أشهر، كلها شجار، أو أكثرها.

مال إلى الوراء:

ـ هكذا إذن.. وأعتقد أن رؤيته هنا بلا توقع أعادت إليك كل الذكريات.. وعاد الألم مجدداً.

ارتجفت يدها تحت يده:

ـ أجل.. كان لهذا لذعة قارصة..

ابتسم:

ـ يا لبراعة الإنكليز في وصف الكارثة.. متى سيرحل؟

هزت كتفيها واستعادت يدها:

ـ لست أدري.. يبدو أنه سيبقى.

نظر شون إليها بخبث: ربما يريد استرجاعك؟

ـ لا.. أنا واثقة أن هذا ليس السبب..

واحمرت وجنتاها.. فتابع شون:

ـ ما هي أسبابه إذن؟ أو ربما أستطيع أن أخمن.. يريد إثارة عواطفك مجدداً.. أليس كذلك؟ يريد إرضاء فضوله ومعرفة أي نوع من النساء أنت الآن.. هل ستسمحين له بهذا؟

ردت بحدة لاذعة: هذا ليس من شأنك.

رفع رأسه ينظر إليها مباشرة:

ـ ربما لا.. لكنني أحب كثيراً أن يكون.

تفرست غيرلي فيه لحظات طوال.. كان من المستحيل أن تسيء فهم ما يعنيه.. مستحيل ألا تقرأ الرسالة في عينيه.. سحبت يدها بارتباك من يديه ووقفت:

ـ لو.. سمحت لي.. سأذهب لأغسل يدي ووجهي.

ـ طبعاً.

ووقف بدوره، فأحست غيرلي به يراقبها وهي تسير لتدخل القيلا. ما إن أصبحت في غرفة الملابس حتى أقفلت الباب بارتياح ممتنة لهذه

الخلوة القصيرة. . تقدمت ببطء إلى المرآة المعلقة فوق المغسلة الرخامية ونظرت إلى صورتها المنعكسة. . أصبحت بشرتها سمراء الآن بفعل الشمس. . لكن هذا الإشراق الصحي لم يستطع إخفاء الهالات السوداء تحت عينيها أو تقطيبة القلق فوقهما. لم تنم كثيراً ليلة أمس بالرغم من أنها كانت متعبة. . استلقت في السرير بعد شجارها مع كورت وبقيت مستيقظة تفكر فيه. . جعلها التفكير بلمساته تتقلب في الفراش. . كانت تريده وتعرف هذا. . يأس بعد كل سنوات الفراغ السيئ. . ولفترة ما كانت على وشك النهوض من سريرها والذهاب إلى مركبه. . أرادت أن توقظه وتقول له إنها غيرت رأيها وتود إمضاء الليل معه، لكن كرامتها منعتها. . هكذا تعمدت أن تتذكر الأوقات السيئة في محاولة يائسة لأن تقوي قراراتها. . قرارات كانت تعرف أنها ستكون أضعف في المرة القادمة التي سيحاول كورت فيها مغازلتها. . لا! لن يكون هناك مرة قادمة. . لا شك لديها في هذا. . لكنه سيستمر في المحاولة، وماذا ستكون النتيجة؟ إنها تخاف من مجرد البدء في التخيل.

انحنت تغسل يديها وهي تتنهد بإرهاق. . إن هذه المهمة تسير في طريق خاطئة. في البداية اقتحم كورت مسرح الأحداث. . والآن يسبب لها شون بوشاري بعض التعقيدات. . لقد فهمت من آخر ملاحظة له أنه دعاها إلى هنا لأغراضه الخاصة. . أم أنه ينوي فعلاً إعطاءها تلك المقابلة؟ النعنة على الرجال! لقد تمكنت حتى الآن من التحرر منهم وها هم يهددون بإفساد حياتها مجدداً. أعادت وضع أحمر الشفاه بعنف ساخط، ثم خرجت إلى الشرفة يرافقها مزاج رافض لأبسط أنواع الغزل، واستعداد لأن تقطع رأس شون لو حاول العبث مجدداً.

لكن شون كان أكثر من ند لها حين يصل الأمر إلى الخبرة مع

النساء. جعلته نظرة واحدة إلى اللمعان المعادي في عينيها يلتزم مواضيع حديث غير شخصية لما تبقى من بعد الظهر، بحيث أنها استرخت بالتدريج وبدأت تستمتع بصحبته مجدداً. . حاولت أكثر من مرة أن تقوده إلى موضوع المقابلة، لكنه رفض الالتزام وكان يبتسم ويغير الموضوع.

ذهبا للسباحة على الشاطىء الذي رماها البحر إليه. . ثم لعبا التنس قبل تغيير ثيابهما استعداداً للعشاء، واستعادت غيرلي مرة أخرى ثوباً من الخزانة الضخمة التي يبقي فيها ملابس زائراته. . وحين رأى ترددها حول ثوابها ابتسم وقال:

ـ بالطبع، بختي على استعداد ليأخذك حيثما تشائين في أي ساعة تقررينها. .

هكذا تناولا العشاء معاً على ضوء الشموع، طعام من ألذ الأصناف التي ذاقتها في حياتها. ثم جلسا في غرفة الاستقبال الكبيرة يصغيان إلى الموسيقى من أجهزة عالية في الفخامة. . وكانت نار الحطب تذهب ببرد الأمسية وأحست غيرلي بالنعاس والارتياح.

تقدم شون منها يأخذ كأس المرطبات الفارغ من يدها:

ـ أترغبين في المزيد؟

هزت رأسها نفياً واستفاقت من حيث كانت نصف مستلقية على الأريكة.

ـ لا. . يجب أن أذهب الآن. . الوقت متأخر بلا ريب. . كيف تعرف الوقت في الظلام؟

ضحك:

ـ أنا أذهب إلى الفراش عندما أحس بالتعب وأنهض منه حين أستيقظ. . لكن لا شيء يمنع من أن تعرفي الوقت.

تقدم إلى مضيفته وأخرج علبة رفيعة سوداء، مدها إليها: هاك.

أخذت العلبة منه مترددة وفتحتها. كان في داخلها ساعة يد ذات طوق ذهبي رفيع.. ذهب حقيقي! بعد لحظة أقفلت غيرلي العلبة وأعادتها إليه:

- آسفة شون.. لا أستطيع قبولها.

- ولمَ لا؟

- تعرف تماماً لماذا لا.. سأذهب الآن لأبدل ملابسي.

مد يده وأمسك ذراعها:

- غيرلي.. لا تفهمي شيئاً خاطئاً من هذه الهدية.. إنها ليست هدية.. إنها مجرد بديل عن الساعة التي تعطلت عندما وقعت في البحر من فوق يختي.

- ليست ضرورية.. أستطيع شراء ساعة تناسبني حين أعود إلى موطني.

- صنعت هذه الساعة في أحد مصانعي، وأنا أستبقي منها دزينة هنا للأصدقاء.

- ربما تفعل هذا.. وربما هدية ثمينة كهذه لا تعني شيئاً لهم أو لك، لكنها تعني الكثير لي.. وتعرف هذا.

نظر إليها للحظات ثم تركها:

- حسن جداً.. سأطلب منهم أن يحضروا اليخت ليعيدك إلى ميلميا بعد عشرين دقيقة.

ذهبت لتبديل ثيابها وحين نزلت وجدته بانتظارها.. أخذ بمرفقها وقادها عبر الحديقة التي ينيرها القمر إلى المرسى. لكن قبل أن يبرزا من بين الأشجار، توقف وأدارها لتواجهه.

- هل ستأتين في الغد؟

ترددت، تتساءل عما إذا كان هناك جدوى. عرف سبب ترددها وقال:

- اسمعي.. أعرف أنك لا زلت تطمحين لإجراء المقابلة، لكنني لم أتخذ قراري حتى الآن.. أريد أن نتعرف على بعضنا أكثر أولاً.. أحتاج أن أتأكد من أنك ستصغين إليّ بتعاطف قبل إلزام نفسي.

كان في صوته رنة صدق مكنت غيرلي من اتخاذ قرار.

- حسن جداً.. سآتي في الغد.

أخذ يدها وبدلاً من أن يصافحها رفعها إلى شفتيه: ليلة سعيدة غيرلي.

كان الوقت متأخراً حين رسى اليخت في ميناء ميلميا.. وهي تسير بسرعة، التفتت إلى المقهى تتوقع رؤية كورت، لكن الرجال كانوا من المحليين.. فصعدت الدرج ونظرت إلى مركبه، فرأته يقف على سطحه متكئاً بطريقة سوداوية على الصاري، يدخن سيكارة. نزلت بسرعة ودخلت إلى الممر آملة بيأس ألا يكون قد شاهدها. لكنها تعرف تماماً أنه شاهدها.. عندما أصبحت في غرفتها سارعت إلى إقفال الباب ثم ركضت إلى النافذة.. لم يعد موجوداً على سطح المركب، ولم تشاهده في الشارع.. حبست أنفاسها بانتظاره متوقعة أن يطرق بابها في أية لحظة ويطالبها بإدخاله. لكن كان كل شيء هادئاً ساكناً، وسرعان ما غادر الرجال المقهى.. استرخت ببطء وخلعت ملابسها ثم تقدمت لإقفال مصاريع النوافذ الخشبية وأبواب الشرفة، وهي تفكر فيما إذا كانت ستفتح له أم لا لو جاء إلى غرفتها.

جاء اليخت في الوقت عينه من الصباح التالي، ومرة أخرى أمضت يوماً ممتعاً مع شون، وتعلمت لعبة السكواش في واحد من ملعبين مخصصين لهذه اللعبة.. بعد العشاء شاهدا فيلماً جديداً في صالة

السينما الخاصة لديه ومضى نهارهما بدون أن يقول كلمة عن المقابلة أو يحاول التحرش بها، مع أنه حين تمنى لها ليلة سعيدة قبل صعودها إلى اليخت قبل يدها مجدداً بإطالة، وقال: إلى الغد.

كان مركب كورت لا زال راسياً على الرصيف.. ومرة أخرى رأته واقفاً على السطح يدخن سيكارة.. لكن حين شاهدها تنزل من اليخت رمى عقب السيكارة إلى البحر، ونزل إلى الأسفل وكأنه كان ينتظر وصولها سالمة.. وأحست بشيء من الاستياء و.. لكن ماذا كانت مشاعرها الأخرى؟ لم تكن واثقة..

كان اليومان التاليان مشابهين للأولين ما عدا مكالمتين وردتاها من رئيس تحرير المقالات الخاصة. كانت غيرلي قد أخبرته أنها تعمل على الفوز بالمقابلة لكن صبره بدأ ينفد بسبب قلة التقدم.

قالت تشرح:

ـ أنت لا تفهم الموقف.. إنه عقدة من الصعب حلها بسهولة لو حاولت استعجاله.. قد يقول لي أن أذهب إلى الجحيم، لكنني واثقة أنه سيقرر في القريب العاجل.

ـ حسن جداً.. ابقي مثابرة.. أحسنت التصرف حتى الآن. لكن حاولي إنهاء الأمر بأسرع وقت ممكن.. لو سمحت؟

مرّ اليوم التالي قبل أن يقرر شون أن يتكلم. قادها بعد العشاء إلى غرفة لم ترها من قبل، وصفها بأنها «عربته». غُطيت جدرانها بالكتب القديمة جداً والثمينة كما يبدو من أسمائها وطريقة تجليدها.. صب فنجاني قهوة من غلاية كهربائية موضوعة على رف خزانة أثرية وناولها واحداً.

ـ إلى رواية قصة حياتي الجديدة.

حدقت به.. ثم ابتلعت ريقها بصعوبة:

ـ أنا.. لا أفهم.. أتعني أنك تريدني أن أكتب قصة حياتك؟

هز رأسه وبدا متسلياً لتعبيرها المصدوم.

ـ هذا صحيح. كنت أفكر في الأمر في الأيام الأخيرة، وأرسلت إلى لندن لطلب نماذج عن أعمالك السابقة. الآن وقد رأيتها، قررت أن أوكل المهمة إليك.

توهج وجهها إثارة:

ـ إذن لهذا لم تقرر قبل الآن. أوه.. شون، سأحب أن أفعل هذا.. وسأقوم بما في وسعي لأجلك.. لن تكون نادماً.. أعدك.

ضحك ووضع ذراعه حول خصرها:

ـ أعرف أنني لن أندم، وأنا واثق أنك ستقومين بعمل عظيم.

التفتت إليه منهورة.

ـ متى نبدأ.. غداً؟ سأحضر آلة التسجيل لنسجل ما يكفي لمقالة صحيفتي، ثم سأطير إلى لندن وآخذ إجازة لبضعة أسابيع كي أتمكن..

ـ هاي.. مهلك لحظة.. لقد قلت قصة حياتي، ولم أذكر الصحيفة.

نظرت غيرلي إليه بذهول، والإثارة تتلاشى عن وجهها بالتدريج.

ـ لكن يجب أن أفعل هذا.. لا أستطيع نسيان الأمر والقيام بكتابة قصة حياتك.. لن يكون هذا مناسباً أبداً.

ـ مناسب أم لا.. هذا ما يجب أن يكون.. ثم إن نشر مقالة سلفاً سيخفف الكثير من الصاعقة التي ستسببها قصة حياتي.. أليس كذلك؟

ـ قد يحدث هذا.. أجل. لكن.. اسمع، إذا لم تكن راغباً في كتابة المقال، فهل توافق على السماح لصحيفتي بنشر قصة حياتك في حلقات قبل إقرالها إلى الأسواق؟ لقد حدث هذا في العديد من المرات سابقاً بدون أن تتأثر المبيعات..

فرك شون ذقنه مفكراً:

ـ حسن جداً.. سأقبل بهذا.. أجل، سنتفاوض للاتفاق معهم في الحال.

ضحكت غيرلي بسعادة:

ـ هذا رائع.. أوه شون.. أنا ممتنة لك جداً.. سأسافر غداً لترتيب المسألة.

وضع يده الأخرى على خصرها:

ـ لن يكون هذا ضرورياً.. يمكننا الاتصال بهم.. إضافة إلى هذا.. لا أريد أن أفقدك ولو ليوم واحد.

ابتسم لها يشدها إليه.. فارتدت إلى الخلف تنظر إليه باكتئاب.

ـ ماذا تحاول أن تقول بالضبط؟

رد بصوت أجش:

ـ تعرفين تماماً.. أريدك أن تبقي هنا وأن تعيشي معي، غيرلي..

قالت ببرود:

ـ وأن أكون عشيقتك.. تعني؟

جذبها إليه مجدداً:

ـ سنكون معاً.. يجب أن أعرف ما هي مشاعري نحوك.. ما كنت لأعتقد أنني سأقع في هوى أحد مرة أخرى.. لكنني وقعت في حبك كما لم أغرم بأي امرأة من قبل.. أريد أن..

شدت نفسها مبتعدة عنه:

ـ كفى! أنت تضيع وقتك.. شون.. أنا آسفة لكنني لا أشعر بالطريقة عينها نحوك.. لذا دعنا نترك الموضوع.. أيمكن؟

نظر شون إليها غير مصدق، ثم قال:

ـ لكننا منسجمان تماماً.. أليس كذلك؟ لقد استمتعت بالأيام التي

أمضيتها هنا معي؟

ـ أجل.. أجل.. بالطبع استمتعت لكن..

تقدم إليها مجدداً:

ـ أتدركين مستوى الحياة التي أستطيع أن أوفرها لك؟ أي شيء وكل شيء تريدينه.. ثياب، مجوهرات.. ولن تحصلي سوى على الأفضل. سنعيش هنا على الجزيرة معاً، نحن فقط.. لكن إذا أردت، يمكننا أن نسافر.. نذهب حيثما شئت.. ولن تضطري إلى العمل مرة أخرى. لا مزيد من الجري حول العالم لملاحقة القصص والعيش في فنادق رخيصة.

كانت غيرلي تحاول عبثاً مقاطعته، أخيراً تمكنت من هذا:

ـ لكنني أحب الحياة التي أعيشها، ألا ترى هذا؟ لقد عملت جاهدة للوصول إلى ما أنا عليه اليوم.. إنني أستمتع بعملي.. حسن جداً.. أنت ربما عشت كل حياتك ووقفت في وجه كل التحديات وبإمكانك الآن أن تجلس بارتياح وتأخذ الأمور بسهولة.. لكن أنا لا زال لدي حياتي لأعيشها.

صمتت تنظر إليه بتعاسة، وأضافت:

ـ وليس هناك شيء مما أريده يمكنك إعطائي إياه.. صحيح أن من الممتع العيش عيشة مليونير، وارتداء أجمل الثياب، والحصول على معطف فرو ثمين أحمي نفسي به من البرد وأنا أتمشى في المساء.. أن أحتم وأقضي كل أيامي في سعادة متكاسلة.. ستكون هذه حياة مثيرة لأني أعلم أنها سرعان ما ستنتهي وسأعود بعدها إلى عالمي الخاص. لكن لو عشت هكذا طوال الوقت بلا عمل، سأسأم حتى الموت في أسابيع.. وسنتقلب الجزيرة إلى سجن.

تحركت لتغادر الغرفة، لكن شون أمسك بها وأدارها لتواجهه ثم

قال بصوت أكثر حدة وفيه شيء من الغضب:

ـ لا . . لن تسأمي غيرلي . . هل تعتقدين أنني بدون خبرة مع النساء إلى درجة ألا أجعلك سعيدة مكتفية؟ ما إن تعيشي معي يوماً واحداً . . حتى ترغبي في البقاء إلى الأبد.

حاول ضمها بين ذراعيه مجدداً، لكنها دفعته بعيداً ووجهها متجهم:

ـ أنا آسفة شون . . لكن الرد لا زال «لا» . . . لا شيء يمكنك إعطاءه لي ولا أملكه.

اشتد ضغط شفتيه ثم قال بخشونة:

ـ ليس لديك رجل.

شحب وجهها:

ـ أنا لا أحتاج إلى رجل . لا أنت ولا أحد سواك.

تقدمت بسرعة نحو الباب موردة:

ـ لا تزعج نفسك بمرافقتي، أعرف طريقي إلى المركب.

أوقفها صوته وهي على وشك المغادرة:

ـ أتعرفين ما ستتخلين عنه؟

التفتت إليه وابتسامة مريرة على شفتيها:

ـ أوه . . أجل . أعرف هذا جيداً. إنني أتخلى عن فرصة كتابة قصة حياتك وعن المقالة كذلك.

ابتعدت عنه مرة أخرى، فقال: هذا غير صحيح.

التفتت من فوق كتفها بدهشة، فأضاف:

ـ قبولك أو رفضك لما . . عرضته عليك، لا علاقة له بهذا. لكن قصة حياتي . .

صمت وهز كتفيه ثم أردف:

ـ ربما من الأفضل أن ننسى هذا. أمام هذه الظروف قد يكون البقاء بمفردي معك لأسابيع على أساس عملي، أبعد من احتمالي.

اتجهت نحوه ببطء:

ـ أنت . . تعني ما تقول؟ ستعطيني المقابلة . . بلا شروط؟

ابتسم ابتسامة منكسرة:

ـ بلا شروط . . تعالي كالعادة غداً وأحضري معك آلة التسجيل . . من الأفضل أن نذهبي الآن . . سأطلب منهم أن يحضروا اليخت لك.

كان الوقت يقارب منتصف الليل حين أنزلها اليخت في ميلمبا واستدار ليعود إلى تاليبوس. راقبته غيرلي ليضع دقائق قبل أن تترك عينيها تتجهان نحو مركب كورت تجذبهما إليه قوة مغناطيسية مجهولة. لا بد أن كورت أدرك الآن أن ما عليه سوى سماع صوت محركات اليخت الضخمة ليعرف أنها عادت بسلام بدون الوقوف على السطح بانتظارها.

تسلقت السلم ببطء متجهة إلى غرفتها وأفكارها مشوشة قليلاً . . كان رفضها لاقتراح شون غريزياً تماماً، حتى أنها وجدته كريهاً قليلاً. مع أنها غير واثقة من سبب إحساسها هذا . . مع أنه يكاد يكون في عمر والدها، فلا زال رجلاً وسيماً جداً، وله طلة الشباب التي تردم بسهولة فارق العمر بينهما. بل الواقع فإن شون رجل ذو خبرة وتجارب كثيرة . . يعرف كيف يتعامل مع المرأة وكيف يجعل نفسه جذاباً . . إذن لماذا تجد الفكرة بغيضة إلى هذا الحد؟ تقدمت إلى النافذة وامتدت إليها نظر إلى الخارج وتقلب أوجه المسألة في رأسها إلى أن توصلت إلى استنتاج أن سبب رفضها هو أن شون يجد من الضروري أن يجعل نفسه جذاباً . . فهذا يدل على زيف ما في شخصيته . . وكيف يمكنها أن تثق بشخص لا يتصرف بشكل طبيعي معها؟

ابتسمت لنفسها، تتذكر الإغراءات التي قدمها لها وتعي مدى جهله لحقيقة شخصيتها، إذا كان قد ظن حقاً أن الثياب والمجوهرات يمكن أن تؤثر على قرارها.. حسن جداً، لقد استمتعت بحديثهما معاً، تسلت وسعدت معه.. كان شخصاً تحب أن يكون صديقاً لها، تلتقي به، تتناول العشاء معه وتضحك. لكنه ليس من النوع الذي تشعر أنها قادرة على اللجوء إليه في الفترات الصعبة أو أن تفضي إليه بأسرارها.. حتى أنها لم تخبره بوجود دارن.

لكنها كذلك لم تخبر كورت.. وعادت من ذكرياتها قليلاً لتعي أنها كانت تنظر إلى مركب كورت طوال الوقت. الوقت متأخر جداً، ولا زال النور مضاءً في مقصورته.. وبما كان يقرأ قبل أن ينام.. كانت هذه إحدى الهوايات التي تشاركا فيها.. حب الكتاب. كل ليلة تقريباً وهما معاً، كانا يقران قبل النوم إلى أن يمد كورت يده ليأخذ الكتاب منها ويجذبها إلى جانبه في الفراش. ترقرقت دموع مفاجئة في عينيها فكبتتها بغضب.. لم يكن كورت مضطراً إلى التمثيل ليجعل نفسه جذاباً، فهو يمتلك هالة رجولية تجعل النساء ينجذبن إليه كالمغنطيس. وكانت فخورة بهذا.. وأحست أنها مميزة جداً حين اختارها من بين كل الفتيات اللواتي رغبن فيه. ولم يكن كورت من النوع العابث حتى بعد الزواج.. لقد حاولت نساء كثيرات التحرش به.. لكنه لم ينظر إليهن بل ضحك لمخاوفها وأشفق على غيرتها وقال لها إنه من النوع المخلص لامرأة واحدة.

لكن الآن! أحست منذ البداية أنه تغير وأصبح لديه خبرة واسعة مع بنات جنسها.. إنه يملك قسوة لم تكن موجودة فيه من قبل.. وكأنه فعلاً لا يهتم لشيء. أظهرت طريقة عناقه لها أن هناك نساء أخريات مررن في حياته!

استقامت فجأة.. وبدون إعطاء نفسها فرصة للتفكير فيما تفعل، التقطت دثارها وخرجت راكضة من الغرفة. ثم نزلت على الدرج الخارجي.. كان القمر مرتفعاً في السماء يضفي وهجاً فضياً فوق البلدة النائمة.. أسرعت عبرلي فوق رصيف الميناء وهي لا تعرف حقاً سبب ذهابها إلى كورت، أو ماذا ستقول حين تصل.. كل ما تعرفه أنها يجب أن تراه.

كان قلبها يضرب بشكل مؤلم داخل صدرها.. توقفت للحظة على الرصيف فوق مركب كورت مباشرة لتلتقط أنفاسها وتحاول استجماع شتات نفسها قليلاً.. لكن أثناء وقوفها هناك، انفتحت إحدى دفتي الباب المزدوج الموصل إلى المقصورة في الأسفل وغمر نورها السطح.. فتراجعت مجفلة ثم فكرت أنه شاهدها بلا ريب.. لكن الصوت القادم من المقصورة لم يكن صوت كورت.. قطعاً.. كان له لكنة فرنسية وأنثوي أجش:

- أوه، كورتيس، مون شيري.. كان هذا رائعاً..

ارتدت عبرلي بسرعة إلى الوراء، إلى الظل المعتم، ولفت الدثار القاتم حول فستانها الباهت اللون. بينما كان الباب المزدوج ينفتح تماماً وظهر كليوباتس دوبيانس وهي تلف ذراعيها حول عنق كورت متمتمة بصوت أجش:

- إلى الغد حبيبي!

وأضافت تقول شيئاً آخر، لكن عبرلي لم تبق واقفة لتسمع.. فقد عادت في العتمة إلى زقاق بين منزلين، حيث وكضت بهدوء في ممر داخلي كانت تعرف أنه سيعيدها إلى الترانيرنا وإلى حتى غرفتها هناك.

* * *

٧ ـ طريقة واحدة فقط

استلقت غيرلي في السرير مستيقظة معظم ساعات تلك الليلة تلعن نفسها على غبائها الأحمق وتشكر الله لأنها لم تذهب إلى مركب كورت في وقت أبكر لتدخل وتجده مع كلير.. وارتجفت وهي تتصور المشهد. لقد تصرفت بتهور وتركت قلبها يحكم عقلها للمرة الأولى.. وانطوي إلى أين أوصلك هذا؟ وتساءلت ما إذا كان زوج المرأة الفرنسية على علم بزياراتها لكورت في مركبه، وإذا لم يكن فكيف تتمكن المرأة أن تتسلل وتعود بدون أن يراها أو يستفقدها.

لكن ربما اعتاد الرجل المسكين على عبث زوجته.. فما أدراها. ربما هذا أمر مقبول بين الأثرياء.. إقامة علاقة عابرة خلال العطلات. وهل غاص كورت حقاً إلى هذا الدرك ليسمح بأن يُستغل هكذا؟

تقلبت في فراشها ودفنت رأسها في الوسادة، تحاول إبعاد الصور التي شغلت تفكيرها، وللمرة الأولى منذ سنوات بكت إلى أن نامت.

أرسل شون يخته في اليوم التالي كالعادة لكن غيرلي تأخرت وأبقته منتظراً لعدة دقائق.. حين صعدت إليه، دخلت مباشرة إلى المقصورة وعيناها مخبأتان تحت نظارات سوداء. كان هناك تكلف اليوم بينها وبين شون لم تحاول إزالته.. بدأت العمل فوراً، تطرح أسئلة من لائحة طويلة كانت قد حضرتها يوم جاءت إلى كيتوس.. وكان شون يجيب بكل استعداد وغالباً ما يطيل الرد حين تطلب منه الإفاضة

وعندما حل وقت الغداء طلب التوقف وأصر على الحديث في مواضيع أخرى بينما كانت غيرلي تنشل المضي بتسجيل المقابلة. فكل ما تريده الآن هو الحصول على ما يكفي من معلومات لكتابة مقالتها وأن تعود إلى بلادها، وإلى ابنها.. أكلت القليل وأجابت على أسئلته باختصار وهي تشعر بنفاد الصبر والرغبة في متابعة عملها. لكن شون لم يبدُ مستعجلاً.. مع أنه في البداية، بدا وكأنه يريد الانتهاء من المقابلة.. وكانت غيرلي تتوقع هذا لثقتها بأن رفضها له سيجعله بلا ريب متوتراً، إذا لم يكن منزعجاً تماماً.. معظم الرجال خاصة في مثل سن شون، يكون لرفض تحرشاتهم من قبل فتاة صغيرة تأثيراً سلبياً عليهم.. ليس من ناحية كرامتهم فقط بل رجولتهم كذلك.. لكن لسبب لم تستطع فهمه، بدا أن شون يرغب في العودة إلى مستوى علاقتهما القديمة.. في أعماقها، كانت غيرلي تشعر بالسرور والابتهاج ومستعدة لتقبله كصديق، لكنها بدأت تشك في أنه يعتقد أنها تلعب دور صعبة المنال.. هكذا قررت أن تتصرف بحكمة وتتركه يعرف من طريقة تصرفها أنها غير مهتمة.

بعد الغداء عادا إلى العمل ثانية، يجلسان في الخارج على الشرفة.. لكن غيرلي أصيبت بصداع أليم وجدت من المستحيل التركيز معه.. كانت تطرح السؤال ذاته مرتين وتعتذر متلعثمة، ترفع يدها مرات إلى رأسها المتألم.

وقف شون فجأة وتقدم إلى كرسيها. أخذ منها دفتر الملاحظات بحزم وأطفأ آلة التسجيل. فتحت غيرلي فمها لتحتج.. لكنها توقفت بعد أن خلع عنها نظارتها السوداء ونظر إلى عينيها متجهماً.. كانتا مظللتين بالسواد ولا تزالان منورمتين قليلاً من بكاء الليلة المنصرمة..

ـ كنت تبكين.

هزت رأسها نفياً، ثم أدركت عقم هذا.

ـ لسبب لا دخل له بما حدث بيننا ليلة أمس، إذا كان هذا ما تظنه.. دعنا نتابع، أيمكن؟ أنا لم أنهِ نصف المقابلة حتى الآن..

مدت يدها تستعيد نظارتها، فأعطاها لها بعد تردد قصير لكنه قال:

ـ لا.. لقد أنجزنا ما يكفي اليوم.. أنت لا تبدين بخير أبداً.

اعترضت، تدافع عن نفسها:

ـ لدي صداع.. لو طلبت من أحدهم أن يجد لي قرصي أسبرين.. سأكون على ما يرام.

ـ لا.. بل سنترك العمل الآن، ونتابع في الغد. دعنا ندخل الآن بعيداً عن الشمس.

قادها إلى الداخل وصب لها شراباً مثلجاً، ثم تركها بضع دقائق وعاد حاملاً زجاجة دواء مضاد للألم.

ـ هاك.. خذي قرصين من هذا.

وضع الأقراص في يدها وراقبها وهي تبتلعها.

ـ أيتها الحمقاء الصغيرة.. لماذا لم تقولي لي إنك لست على ما يرام؟

ـ أنا.. أردت الانتهاء من المقابلة.

استدارت لتجلس على الأريكة، أسندت رأسها إلى ظهر المقعد وأغمضت عينيها لبضع لحظات.

حين فتحتهما مجدداً رأت شون واقفاً ينظر إليها، والقلق بادٍ على وجهه.

ـ لم لا تصعدين إلى فوق لتنامي قليلاً؟

تمكنت من رسم ابتسامة ضعيفة:

ـ أنا واثقة أن الصداع سيزول بسرعة.. أنا آسفة للإزعاج.

قال بسرعة: يا طفلتي العزيزة!

ثم كبت ما كان ينوي قوله، وقال لها:

ـ تقولين إن السبب ليس.. خلافنا الذي حدث ليلة أمس.. فهل هذه هي الحقيقة؟

ابتسمت مجدداً:

ـ لم يكن السبب الأساسي.

ـ ماذا كان إذن؟

أشاحت بنظرها عنه قبل أن تقول باختصار:

ـ هذا فعلاً أمر لا يهمك شون.

ـ وهذا يعني أن زوجك هو من جعلك تبكين. ماذا فعل؟ هل حاول فرض نفسه عليك مجدداً؟

وقفت تواجهه ببرود:

ـ لا.. فعرضك كان الوحيد الذي تلفيته بالأمس. في الواقع، أنا لم أتحدث إليه منذ عدة أيام. والآن، إذا كنت لا تمانع، أريد العودة إلى فندقي. أنا آسفة لقطع المقابلة.. وأنا واثقة أنك مهتم بإنهائها بأسرع وقت ممكن، مثلي تماماً.

تقدم شون منها ومد يديه وكأنه يحاول الإمساك بذراعيها، لكنها ابتعدت:

ـ غيرلي.. اسمعي.. بخصوص ليلة أمس..

ـ لا بأس في هذا.. لست مضطراً إلى قول شيء. أخشى أنني كنت فظة معك.. وأنا آسفة.

ـ يا إلهي لا! أنا من يجب أن يعتذر.

بدا أنه يريد قول المزيد لكنه نظر إلى وجهها الأبيض الشاحب وبدل رأيه:

ـ سنتكلم في هذا حين تكونين أفضل حالاً. اتصلي بي من الفندق غداً إذا أردت وسأرسل لك اليخت.

ـ أجل.. حسن جداً.

وسمحت له بمرافقتها إلى الرصيف وبمساعدتها في الصعود إلى اليخت.

عندما وصلت إلى مبلمبا كان مضاد الألم قد ساعدها كثيراً.. لكنها كانت لا تزال تشعر بالتعب لذا قررت القيام بسباحة سريعة ثم الاسترخاء على الشاطىء قليلاً. كان هناك أشخاص مختلفون على الرمال اليوم.. فقد جاء المركب الثقال بمجموعة سواح جدد.. نظر إليها شابان باعجاب وهي تمر بجانبهما.. لكنها تجاهلت محاولتهما الكلام معها وسارت مبتعدة على الشاطىء تفتش عن مكان هادىء بعيداً عن الآخرين إلى أن وجدته على مقربة من صخرتين كبيرتين..

لم تسبح غيرلي طويلاً وإنما ما يكفي لتنعش جسمها، ثم عادت إلى فسحة الرمال واستلقت على منشفتها في ظل إحدى الصخرتين محاولة أن تنام، لكن النوم جافاها. كان تفكيرها لا زال مثقلاً بشخصي كورت والمرأة الفرنسية.. لم يكن هناك أثر لها أو لأصدقائها على الشاطىء اليوم، ولم تشاهد مركبهم في الميناء.. لذا، ربما ذهبوا في رحلة بحرية أو تركوا كينوس نهائياً.. هل كان الأمر هكذا ليلة أمس، حفلة وداع سريعة قبل رحيل كلير ومجموعتها؟ أم أن زوجها ضبطها تعود إلى المركب وقرر إبعادها عن كورت الخطير؟ سيكون من المثير للاهتمام رؤية ما إذا كان مركبها سيعود هذا المساء أم لا.

ربما افتتن كورت بالفرنسية، وأبحر لاحقاً بمركبها. لكن كورت هذا، لا يبدو وكأنه يسمح لأي امرأة بأن تكون مقربة منه بما يكفي لأن تفسد خططه. وغيرلي بالطبع لا تهتم بمعرفة عدد النساء اللواتي مرون

في حياته.. لا الآن ولا في الماضي. نظرت إلى الرمال الناعمة وهي تتسلل من بين أصابعها. إذن.. لماذا بكت ليلة أمس؟ أم أن السبب هو إحساسها بالذنب لأن غلطتها هي التي أوصلته إلى ما أصبح عليه الآن؟ لقد كانت عمياء.. عمياء بشكل رهيب.

نهضت فجأة.. لن يجديها هذا الحساب مطلقاً.. لقد اكتشفت بعد رحيل كورت أن الحركة هي الرد الوحيد.. هكذا ركضت فوق الشاطىء ورمت بنفسها في الماء مجدداً وراحت تسبح بقوة.

لا بد أن الشابين شاهداها.. فقد سبحا إلى أن التقياها وهي تعود.. تحدثا في البداية بلغة لم تفهمها، ثم قال أحدهما بإنكليزية رديئة، وهو يمسك ذراعها:

ـ أنت في مشكلة.. صحيح؟ نحن نساعدك.. نعم؟

حاولت الاحتجاج: لا.. أنا على ما يرام.

لكن الشاب الآخر أمسك ذراعها الأخرى وراح ورفيقه يضحكان.. فتحت فمها لتحتج وتصرخ، لكنهما جذباها إلى تحت الماء، فشهقت وابتلعت كمية من الماء.

قال أحد الشابين: تعجبك اللعبة.. نعم؟

في اللحظة التالية اختفى تحت سطح البحر، وانتُزعت يده عن ذراعها.. ثم تشابكت الأذرع والسيقان في عراك، بينما اتسعت عينا غيرلي بذهول وهي ترى رأس كورت يظهر على سطح الماء، والشاب تحت ذراع كورت القابضة على رأسه. فغر الشاب الآخر فمه ذهولاً ثم ترك ذراعها بسرعة وهرب مبتعداً إلى الجهة الأخرى من الشاطىء بأسرع ما يستطيع.

لم يبد على كورت أنه يتنفس بصعوبة: هل أنت بخير؟

ـ أجل.. شكراً.. ماذا ستفعل به؟

- أعرف ما أرغب أن أفعله به . . لكنني أعتقد أن علينا تركه يذهب .

جزء وهو نصف غائب عن الوعي إلى مقربة من الشاطىء وأرخى قبضته عن عنقه بحيث وقع على ركبتيه في الماء، ثم وقف متعثراً ليبتعد وهو في حالة رعب كامل، ينظر باستمرار خلفه ليتأكد أن كورت لا يلحق به .

بعد ابتعاده، استدار كورت لينظر إلى غيرلي ومد إصبعاً رقيقاً ليلمس العلامات الحمراء على ذراعيها .

- هل آلمك كثيراً؟

هزت رأسها وهي ترتجف :

- لا . . لكن الأمر لم يكن . . لطيفاً جداً .

خرجت من الماء إلى الشاطىء وانحنت لتستعيد منشفتها مرددة :

- شعرت أنني . . عاجزة تماماً .

أخذ المنشفة منها ولفها حول كتفيها ثم راح يدلك ظهرها .

- تحتاجين إلى بعض الدروس في الدفاع عن النفس .

ردت بصوت ساخر : أجل . . أعتقد هذا .

فهم كورت ما تعنيه، فجمدت يداه وهو ينظر إلى وجهها . . ثم قال :

- لقد عدت باكراً اليوم . . ماذا حدث؟ هل تشاجرت مع مليونيرك؟

- لا . . وهو ليس «مليونيري»!

رفع حاجبه غير مصدق :

- لا؟ أنت لن تقولي حتماً إن الحصول على الوقائع منه يستغرق كل هذه المدة؟

- بالطبع لا .

- إذن ماذا كنتما تفعلان في الأسبوع الماضي؟ تلعبان النرد؟

والتوى فمه بسخرية . . فأجابت غاضبة :

- أجل . . ضمن أشياء أخرى . مع أن هذا أمر لا يعنيك إطلاقاً .

اشتعلت عيناه .

- وأعتقد أنه لا يعنيني كذلك لمن تعطي زوجتي جسدها؟

ردت بغضب :

- لا . . ليس من شأنك، لأنني لا أعتبر نفسي زوجتك . . في الواقع . . أنا . .

أحست بقبضته تشتد على كتفيها من فوق المنشفة .

- ألم تذهبي معه حتى الآن إلى الفراش؟ هل فعلت؟

قالت ساخرة :

- ما الأمر؟ هل تغار لأنني أفضله عليك؟ حسناً . . من حقك أن تغار . . فهو أفضل منك! إنه رجل أكثر مما . .

اختنقت الكلمات في حلقها بعد أن وضع كورت يده على عنقها . . وعيناه تميلان إلى الإجرام .

- أهو هكذا حقاً؟ أم أن جاذبيته الوحيدة هو أنه ينعم بالمال؟ هل لأجل هذا سمحت له بإغوائك . . لأجل ما يمكن أن تحصلي عليه منه؟

أبعدت يديه عنها وارتدت إلى الخلف :

- حسن جداً . . مهما كان الذي أراه في شون، فهو مماثل تماماً للذي تراه أنت في كليراس دوبيانس .

تسمرت عينا كورت على وجهها : وماذا يعني هذا بالضبط؟

- يعني، ما هو حقك في سؤالي بينما أنت منغمس في علاقة غرامية فاضحة مع امرأة متزوجة؟

بدا الحذر على وجهه : ما الذي أعطاك هذه الفكرة؟

- أوه . . إنها ليست مجرد فكرة . في الواقع، رأيتها تغادر مركبك

ليلة أمس.

ارتفعت عيناه بذهول: رأيتها؟

- أجل، تعانقك مودعة وتشكرك على الوقت الممتع الذي منحته لها.

التمع شيء ما في وجهه، وبدت النسلية في صوته:

- حسناً.. على الأقل لدي زبونة راضية على استعداد لأن تعطيني شهادة.

ارتجف صوتها غضباً: أيها..!

رفعت ذراعها لتصفعه، لكنه أمسك بها: غيرلي.. اسمعي.

- لا.. اسمع أنت! عندما التقيت بك مجدداً كانت تساورني الشكوك لكن الأسبوع الذي مضى علمني الكثير.. وأنا واثقة تماماً من شيء واحد وهو أنني أريد التحرر منك إلى الأبد.. سأقيم دعوى طلاق ما إن أعود إلى لندن!

اشتدت قبضته على معصمها لحظة.. ثم تركها فيما تعابير وجهه غير مقروءة.

- هكذا إذن.. ومتى تنوين العودة إلى لندن؟

أخذت غيرلي نفسين عميقين، وأجابت بصوت ثابت:

- لست واثقة، وربما بعد الغد.

- لا يوجد مركب نقال بعد الغد.

- لا يهم.. سأستأجر مركباً يوصلني إلى بيرايوس، ثم أستقل الطائرة من أثينا.

- ربما ستتمكنين من الاتصال بي قبل رحيلك.. سأعطيك عنوان محامي الخاص، فقد تحتاجين إليه لطلب الطلاق.. وربما أنت على حق.. ربما سيكون هكذا أفضل.. على أي حال، لا شيء يربطنا

بعضنا.

ابتعدت عنه غير راغبة أن تلتقي بعينيه:

- لا!

قال كورث بخشونة بعد لحظات:

- إذا كنت مستعدة للذهاب فسأسير معك إلى التراقيرنا.. يبدو أن الشابين اختفيا، لكنني أفضل ألا تعودي بمفردك.

دست غيرلي قدميها فوق رأسها، وانحنت لتضع صندالها في قدميها. ثم قالت متصلبة:

- أنا لم أشكرك على مجيئك لنجدتي.

- لا تفكري في هذا.. إنه جزء من الخدمة التي أرغب في تقديمها لك.

تركها عند أطراف البلدة يهز رأسه تحية احترام أكثر من أن تكون تحية وداع. ثم ابتعد وسط أحد الشوارع الجانبية.. وللمرة الأولى كانت مسرورة لأنها رأته مرة أخرى ولأن الأمور وصلت إلى هنا.. لكن كان ثمة حزن ما يعتريها إضافة إلى إحساس بالإحباط والفشل. وأقنعت نفسها بأن هذا طبيعي لأن الطلاق لا يمكن إلا أن يكون هكذا: اعترافاً بالفشل وطريقاً لبداية جديدة مشرقة، قد تكون رائعة.

اتصلت في الصباح التالي بشون وطلبت منه إرسال اليخت لها مصممة أن تنهي المقابلة اليوم.. وضعت هذا الهدف نصب عينيها وبدأت العمل فوراً رافضة أن تسمح لشون بأن يلهيها. أثناء الغداء حاول أن يجرها إلى حديث شخصي، لكنها انتبهت للأمر وأجابته بأدب واختصار متعمدة الابتعاد عن أي شيء قد يقترب من حياتها الخاصة.

بعد الظهر أنهيا المقابلة.. ثم وافق على أن تلتقط له ولمنزله بضع صور.. حين انتهت وكانت على وشك وضع الكاميرا في علبتها،

أوقفها شون:

ـ أعطني كاميرتك.. أريد التقاط صورة لك.

أعطته الكاميرا على مضض فطلب منها أن تقف أمام خلفية زهور في الحديقة.. أطاعته وهي تشعر برائحة زهر الياسمين تملأ أنفها.. مدت يدها بدون تفكير إلى غصن فوق رأسها وجذبته إليها كي تشم الرائحة العطرة بشكل أفضل.. وأحست بحزن مفاجىء لعلمها أنها لن ترى هذا المكان الجميل مرة أخرى، فأغمضت عينيها لحظة محاولة طبع صورة هذا الجمال في ذاكرتها.

ـ غيرلي.

فتحت عينيها لترى شون بوشاري ينظر إليها. كان في عينيه توسل يائس تقريباً وهو يتقدم إليها بسرعة وقد نسي الكاميرا ثم أمسك ذراعيها:

ـ غيرلي.. لا تذهبي.. أحتاجك كثيراً.. ألا ترين ما تعنينه لي؟ أرجوك قولي إنك ستبقين.

حاولت غيرلي تخليص ذراعيها من قبضته:

ـ شون.. لا.. أرجوك.

لكنه كان يمسك بها بشدة فأردفت:

ـ لقد سبق وتحدثنا في كل هذا.. أنا لا أريد أن أكون مجرد خليلة لك.

قال بابتسامة خشنة:

ـ أنا لا أطلب هذا منك الآن.. أريدك أن تتزوجيني.. أن تكوني زوجتي غيرلي.. لن أفقدك الآن، بعد أن وجدتك.. ما كنت لأظن أنني سأقع في الحب مجدداً، لكن هذا حصل وبشكل أقسى من ذي قبل.. وستكونين الأخيرة غيرلي.. أقسم على هذا.

عانقها بقوة معتبراً موافقتها من المسلمات.. حين تركها أخيراً، تحركت مبتعدة والتماسة في عينيها.. خلال مجريات هذه المقابلة الصحافية الطويلة، عرفت غيرلي السبب الحقيقي لبقاء شون في فالبوس وتعمده إبعاد نفسه تماماً عن حياته السابقة.. لقد قال لها: «استيقظت ذات صباح وقد تملكني صداع ونعسان كانا الأبشع في حياتي.. كنت أحس بجسمي كله ممتلئاً بالكثير من الطعام والشراب والكثير من السكائر.. ولم أعرف أين أنا.. ولا أي شيء عن المرأة التي كانت معي في الفراش.. عندها أدركت أنني أقتل نفسي بالتدويج.. وأن الطريقة الوحيدة لإيقاف هذا هي إبعاد نفسي قدر المستطاع عن الإغواء.. هكذا قررت أن ألعب دور المليونير الغامض وأن أبتدع هذا المخبأ لنفسي. ولقد أحببت المكان.. بحيث أنني لا أريد أن أتركه أبداً».

جعلها اعترافه هذا تتفهم دوافعه أفضل بكثير واحتارت للحظة.. من السهل جداً أن توافق.. أن تترك شون يتولى أمر حياتها وحياة دارن بحيث لا يبقى لديها ما تقلق عليه.. وتعيش هنا في هذا المكان الهادىء الآمن. لقد قال شون إنه بحاجة إليها.. وهي تحس بضعف غامر وعرفان بالجميل لأنه يريدها كثيراً.. لم يقل لها أحد من قبل إنه بحاجة إليها، ولا حتى كورت حين كانا معاً.. ثم فكرت في دارن، في حاجته الدائمة إليها التي لا يفصح عنها كثيراً والتي هي حتماً أكبر من حاجة شون إليها.. وأبرز المنطق نفسه: لقد عاش شون حتى الثمالة قبل أن يأتي إلى هنا.. بينما هي بدأت حياتها للتو، ودارن لم يبدأها حتى الآن..

قالت بصوت صارم:

ـ أنا آسفة شون، لكنني لا أستطيع الزواج منك.

- بسبب زوجك؟ بإمكانك طلب الطلاق فوراً.. ولن تحتاجي إلى مغادرة الجزيرة لتفعلي هذا.. يمكن أن يسوى كل شيء بواسطة محامين في لندن.

قالت بقدر ما تستطيع من لطف ورقة:

- لا.. ليس الأمر هكذا.. أنا لا أحبك.. ولا أستطيع العيش مع شخص لا أحبه.

تصاعدت إلى عينيه نظرة كئيبة مهزومة:

- وماذا لو قلت لك إنني لن أستطيع العيش بدونك؟

أجابت ببطء:

- سأقول إنك رجل ناضج وكبير بما يكفي لكي لا تلجأ إلى هذا النوع من الابتزاز العاطفي.. لقد عشت من دوني قبل الآن شون.. وسرعان ما ستنسى وجودي.

هز رأسه "لا".. هذا ما لن أفعله أبداً.

التقطت كاميرتها ورافقها شون إلى الرصيف مستقبلاً هزيمته بصمت. ثم قال دونما ثبات:

- ربما أطلت المقام هنا.. ربما أنا مستعد الآن لمواجهة العالم. ربما أنا قوي بما يكفي لأتجاوز كل حيلة الإفراط التي قذفت بي إلى هنا من قبل.

مدت يدها ولامست خده بنعومة، ثم قالت صادقة:

- أوه.. أتمنى هذا شون.. حقاً.

تركها تصعد إلى المركب، ووقفت عند مقدمته وهو يبحر مبتعداً.. تنظر إلى شون وجزيرته يبتعدان في الأفق بعيداً عن حياتها.

عندما أصبحت في ميلمبا قصدت لوكا بيتراكس ليساعدها على استئجار مركب.. ووافق مالك الصياد على المغادرة باكراً في الصباح

التالي، ثم اتصلت بالصحيفة لتخبرهم عن خططها قبل أن تصعد إلى غرفتها لتوضب أغراضها.. غيرت ملابسها وارتدت بلوزة حريرية سوداء وتنورة ممائلة ثم نزلت لتناول الطعام أبكر بساعتين من عادتها لأنها تنوي النوم باكراً قبل الرحلة الطويلة التي تنتظرها.

بقي شيء واحد تفعله.. سارت غيرلي ببطء فوق رصيف الميناء إلى مركب كورت.. كانت أشعة شمس المغيب الحمراء تنير السماء وانقلب لون المنازل البيضاء إلى لون زهري خفيف بوهجها المنعكس.. مرت حيث كان يرسو يخت المرأة الفرنسية وقد حل مكانه الآن مركب صيد بشراع واحد ثم توقفت قرب الميناء في مواجهة يخت كورت: لوقلبت.

افترضت أن عليها الصياح بصيحة البحارة أو بأي شيء آخر لتعلن عن نفسها.. لكنها عرفت أنها ستشعر بالسخف.. هكذا نزلت إلى المركب وطرقت على سطح المقصورة.. على الفور تقريباً فتح كورت الباب ووقف على السلم ينظر إليها.

قالت بعد بقائه ساكتاً:

- طلبت مني.. أن أزورك قبل رحيلي..

- أجل.. طبعاً.. أدخلي

عاد إلى الأسفل ومد يده ليساعدها. لكنها تظاهرت أنها لم تر يده، وتمكنت من النزول بمفردها.. كانت المقصورة السفلى مقسمة بشكل متناسق، مطبخ صغير إلى اليمين قبالة قسم مخصص للطعام وضع فيه طاولة كانت مطوية الآن وصف مقاعد ثابتة إلى الجانب.. خلفها باتجاه المقدمة، رأت مقصورة أخرى فيها سرير واسع مثبت في الجدار ومغطى ببطانية صوفية.. تذكرت كليرانس دوبيانس وأشاحت بوجهها بسرعة.

ـ ألن تجلسي لتشربي شيئاً؟

ـ شكراً . لكنني لن أبقى . جئت فقط لأنك قلت إنك ستعطيني اسم محاميك.

ـ طبعاً . سأدونه لك. وربما من الأفضل أن تعطيني عنوان محاميك أيضاً.

فتشت بسرعة في حقيبتها عن قطعة ورق وقلم وكتبت له عنوان محاميها . ثم التفتت إليه فوجدته يراقبها . نظر إلى الورقة وهي تعطيها له ثم دسها في جيبه.

ـ أخشى أن أكون مضطراً للتفتيش عن عنوان محاميّ . إنها مؤسسة تضحي بها صديق في أوستراليا . يجب أن تكون البطاقة في مكان ما هنا، لكن من السهل إضاعة الأشياء في مركب صغير كهذا . في هذه الأثناء، من الأفضل أن نتناول شيئاً نشربه . شرابك المفضل البرفقال مع الصودا . أليس كذلك؟

سألها وهو يعطيها كأسها:

ـ الآن . . سنشرب نخب ماذا؟ أعتقد أن أفضل شيء هو سعادتنا المستقبلية.

أضافت ساخرة: ونحن مفترقان.

ابتسم:

ـ كما تقولين . مفترقان.

جلست غيرلي إلى أحد المقاعد بعد أن جعلها الوقوف في المقصورة الصغيرة قريبة من كورت الذي بقي مستنداً إلى حافة باب المطبخ بدون أن يتحرك ليفتش عن العنوان.

ذكرته غيرلي بحدة بعد ارتشافها القليل من عصيرها:

ـ قلت إنك ستفتش عن العنوان.

ـ هناك متسع من الوقت . . هل أفهم أن مقابلتك المطولة مع بوشاري انتهت؟

ـ أجل.

ـ إذن ستعودين إلى لندن لتكتبي القصة؟ ألديك فكرة عن المكان الذي ستكون فيه مهمتك التالية؟

هزت رأسها:

ـ قد تكون في أي مكان . . لكنني أرجو أن أبقى في المنزل لبعض الوقت أولاً.

ـ منزل؟

ـ لدي منزل ريفي . .

أطلت من عينيه نظرة متسائلة:

ـ لا أستطيع أن أتصورك في منزل ريفي والورود حول بابك. كنت أعتقد أن شقة في الطرف الغربي من لندن هي أنسب لك.

وضعت غيرلي كأسها من يدها ووقفت.

ـ حسناً . . أنت لم تعرفني جيداً . . أليس كذلك؟ حين تجد العنوان، لماذا لا ترسله إلى محاميّ؟

لم يتحرك لمنعها من مغادرة المقصورة، بل لحق بها إلى الأعلى ثم قال:

ـ قبل أن تذهبي . . أيمكن أن تساعديني لدقيقة؟ أعاني بعض المتاعب مع المحرك، وأود أن أجربه لأتأكد من صلاحيته.

التفتت إليه على مضض: وماذا تريدني أن أفعل؟

ـ أن تقودي المركب لفترة لأتفحص طريقة دوران المحرك ودفعه للمياه.

ـ أتعني الخروج به إلى البحر؟ لمَ لا تجربه هنا؟

- يجب أن أفتح الصادم. وهذا ما سيسبب صوتاً مزعجاً، وقد يجعل كل المراكب تتحرك بينما أصحابها يحاولون النطهي، لن يطول وقت التجربة.. وأنا أفضل أن أنتهي من هذا قبل حلول الظلام.

- أوه.. حسن جداً. ماذا تريدني أن أفعل؟

- سأخرج المركب من الميناء ثم تتولين القيادة بينما أنزل إلى حيث المحرك.

رمى حبال الرسو وأدار المحرك ثم خرج بهدوء من الميناء متجهاً نحو غروب الشمس، في البحر المتوهج بلون قرمزي وذهبي. ما إن أصبحا خارج الخليج، حتى أدار المركب إلى جهة اليمين وسلم الدفة إلى غيرلي لتبحر في موازاة الساحل. وأطاعت تعليماته بأن تسرع أو تبطىء، ثم أوقفت المركب ليقوم ببعض الإصلاحات فيه.

لم تكن غيرلي قد خرجت إلى البحر مع غروب الشمس من قبل، خاصة في مغيب شمس المتوسط، وضاعت في روعة المشهد، تراقب التوهج القرمزي والضوء الأحمر الأرجواني والخطوط البرتقالية والذهبية المتوهجة وهي تصل إلى عمق السماء الزرقاء.. كان كل شيء هادئاً.. البحر ساكن وكأن الدنيا كلها توقفت بدون حركة تراقب معجزة التحول من النهار إلى الليل. وغاصت الشمس أكثر.. ثم رحلت.

أطلقت غيرلي تنهيدة عميقة وعادت ببطء إلى واقعها لتجد كورت يقف خلفها بصمت وقد افتتن بدوره بروعة وسحر المغيب.. وكان وجهه لا زال منعكساً في عينيه وهو ينظر إليها.

- سأتولى القيادة الآن.

تنحت جانباً وهو يأخذ الدفة منها.. هذه ذكرى أرادت أن تحتفظ بها كالكنز الثمين.. لكن نفسها كانت ترزح تحت وطأة تعاسة لم تكن

تتوقعها، فهي تعرف أن الذكرى لا يمكن لها أبداً أن تعيد الضياء والجمال اللذين شاهدتهما لتوها.

لم تلحظ أين أصبحا إلى أن سمعت صوت سلسلة المرسى.. فالتفتت حولها لترى أن كورت قد دخل إلى جون صغير مهجور، تحيط به صخور حادة الارتفاع تجعله غير مطروق سوى عن طريق البحر.. وغطست المرساة فتوقف المركب على بعد حوالي الثلاثين كيلو متراً عن الشاطىء.

التفتت غيرلي بينما كان كورت يوقف المحرك وسألته:

- ما الأمر؟ ألا يعمل المحرك جيداً؟

- بلى.. إنه على ما يرام.. ولقد كان هكذا دائماً.. أردت فقط أن أختلي بك.

نظرت إليه بذهول:

- وهل احتلت علي لأجيء معك؟ وما الفائدة؟ لقد قلنا كل ما يمكن أن يقال، ووصلنا إلى الحل الوحيد: إننا لا نريد أن نرى بعضنا مرة أخرى، ويجب أن نبقى هكذا.. على الدوام.

رد متهكماً:

- أنت على حق.. لقد قلنا كل شيء.. في الواقع قلنا الكثير.. وكلها أشياء مغلوطة.

صاحت بحراوة:

- إذن.. لماذا بحق الله..؟

وصمتت عندما رأت النظرة على وجهه.

- لأن هناك عملاً لم ننهِهِ حتى الآن.. أنت وأنا.

شهقت بخوف:

- لا! اسمع.. إذا كان الأمر بسبب ما قلته عنك وعن شون..

ضحك بخشونة:

- أوه.. لا.. لا دخل لهذا ببوشاري أو بأي رجل آخر كان في حياتك.. هذا بينك وبيني فقط.

شهقت مرة أخرى: لا!

وتحركت لتهرب، لكن كورت مد يده وأمسك بها يجذبها إليه ويسجن يديها على صدره.. وقال بخشونة:

- أنا أحاول إعادتك إلى رشدك منذ لحظة التقائنا هنا.. لكن يبدو أن هناك طريقة واحدة لاختراق تهمك.

تلعثمت غيرلي وهي تقول بصوت مذعور:

- لا.. كورت.. أرجوك.. أرجوك.. لا تفعل.

رفعها عن الأرض وركل باب المقصورة يفتحه وحملها إلى الداخل ثم أنزلها على قدميها.. أمسك ذراعيها وأنزلهما إلى جانبيها.. فوقفت غيرلي كتمثال حجري.. وارتجفت قليلاً وهو يعانقها بقوة ويتمتم باسمها..

ذكرى آخر وقت لهما معاً، حين أخذها غصباً ضد إرادتها ثم تركها.. يوم أعطاها طفلها. هذه الذكرى سرعان ما عادت بشراسة إلى تفكيرها لتملأها خوفاً.. وضعت يديها على كتفيه ودفعته بعنف بعيداً فقد توازنه ووقع إلى الخلف مما أعطاها وقتاً لتدور وتهرب إلى الباب. تعثرت وهي تصعد السلم، تشهق رعباً، وركضت إلى سياج المركب ثم رمت نفسها في البحر، وهو يندفع من الأسفل ليلحق بها.

كان الماء لا زال دافئاً بفعل الشمس، ولم تتوقف سوى لتخلع نعليها قبل أن تسبح بقوة يائسة نحو الشاطىء، لا فكرة لديها عما ستفعله، لا تنوي سوى الهرب.

من خلفها كان كورت قد خلع ملابسه وغطس برشاقة في الماء ثم

اندفع بتعقبها.. بدأت تركض في المياه الضحلة لكنه أمسك ذراعها وأدارها بقوة. قاومته بصمت، ترفس وتخدش والدموع تجري على وجهها، لأنها تعرف أنها معركة لن تكسبها.. انهارت فوق الرمال الرطبة ووقعت على الأرض.. ووقع كورت معها.

فجأة انهارت مقاومة غيرلي، كان كلاهما يلهث تعباً بأنفاس متقطعة.. استلقيا لبضع دقائق دونما حراك.. ثم جذبها كورت معانقاً، فتأوهت، تحاول إبعاده، لكنه تابع عناقه مطالباً إياها بالإذعان. للحظات طويلة، استمرت تقاومه.. ثم غابت عنها كل الأحاسيس وهي تضيع في عناقه.

غمرت المياه أرجلهما ثم ارتدت من حولهما، وضمها كورت تماماً في أحضانه في نشوة انتصار وشوق. لم يعد هناك نهار أو ليل، لا أرض ولا بحر.. هما فقط، ضائعان معاً في دوامة من الأحاسيس القديمة قدم الزمن.

* * *

٨ ـ اسمعيني الآن!

كانت النجوم ساطعة وقد بدأت أول شعاعات نور القمر تنير السماء عندما وقف كورت ونظر إلى غيرلي المستلقية على الرمال.. وقف طويلاً، قوياً.. ونظرت غيرلي إليه بجفنين نصف مغمضين، وجهها محمرّ ناعم.

ابتسم كورت لها.. ثم انحنى ليرفعها، فلفت ذراعيها حول عنقه تتعلق به ودفنت رأسها في كتفه.. حملها إلى البحر حيث ألقاها على ظهرها وسبح بها إلى المركب حيث رفعها إليه، ثم حملها إلى المقصورة في الأسفل.. وجد منشفة كبيرة ناعمة لفها حولها ليجففها، لكنها مدت يديها تشبكهما في شعره.

قال: أحسني التصرف يا امرأة. سأكلمك في هذا فيما بعد.

ـ لا.. لا أريد الكلام.

ونظرت إليه بحب، فوقف مسمراً للحظات، ثم عانقها بشوق ومحبة، وحملها ليدخل بها إلى المقصورة الداخلية وهو يقول بأنفاس متقطعة:

ـ أهلاً بك يا زوجتي الحبيبة..

حين استيقظت وجدت غيرلي المقصورة معتمة، ما عدا وهج سيكارة كورت الذي كان جالساً يدخن بهدوء إلى جانبها. أطفأ السيكارة حين تحركت ولف ذراعيه حولها، يضع رأسها على كتفه

ويقول بصوت منخفض لطيف:

ـ غيرلي.. ثمة ما يجب أن أقوله لك.

تصلبت وقاطعته:

ـ إذا كان بخصوص تلك الفرنسية..

ضحك:

ـ لا.. ليس الأمر هكذا.. أنا لم أقم علاقة معها. لو أنك بقيت للحظات أطول، لرأيت زوجها وزوجين آخرين يغادران معها. لقد دعوتهم إلى المركب للعشاء رداً على دعوتهما.. ولقد تمتعت بالطعام وليس بي.. أيتها القطة الغيورة!

ابتسمت ودست وجهها في عنقه.

ـ لقد شعرت بالغيرة.. أليس كذلك؟ لكنها كانت تشتهيك!

ـ مثلما اشتهاك شون بوشاري تماماً.

جمدت وقالت بصعوبة:

ـ كورت.. ما قلته عنه.. لم يكن صحيحاً.. فأنا لم أقم علاقة معه.

ـ أعرف.

ـ حقاً؟ لكن كيف عرفت؟

ـ بإمكان الرجل أن يكتشف غالباً ما إذا كانت المرأة لها علاقة مع أحد أم لا، وأنت هكذا.. أليس كذلك؟

همست:

ـ أجل.. لم يكن في حياتي سواك.

تنهد ارتياحاً وشد على ذراعها:

ـ أوه.. غيرلي.. يا فتاتي الحبيبة.. وبوشاري؟ ألم يعن لك شيئاً؟

- لا.

- لو أنك تعرفين عذابات الغيرة التي عانيتها وأنا أراك تذهبين في مركبه كل يوم. أردت أن أخبرك كم كنت أريد رجوعك إلي.. لكن بدا أن كل شيء يسير بطريقة خاطئة بيننا. وأنت بنيت جداراً سميكاً حول نفسك، حتى أنني خشيت أن أكون قد زدت الأمور سوءاً. ولولا أنك كنت تعودين كل ليلة لكنت اختطفتك منذ مدة.. حينما كنت أفكر فيك وفي إمكانية أن تكوني بين ذراعيه، كنت أشعر بالرغبة في الذهاب إلى هناك وإبعادكما عن بعضكما.

صمت قليلاً يداعب خدها بنعومة:

- إذن كنت مخطئاً بشأنه طوال الوقت؟ كان ما بينكما عملاً فقط؟

- أوه.. لا أستطيع قول هذا.

وابتسمت لنفسها حين ارتفع رأسه بحدة وأضافت:

- لقد طلب مني أن أكون خليلته.

- أوه.. حقاً؟ هل فعل؟ أرجو أن تكوني قد قلت له أن يذهب إلى الجحيم؟

- لا.. بل قلت لا شكراً لك.. كما يتوجب على فتاة حسنة التربية أن تفعل.

- مجنونة.. وأعتقد أن هذا تسبب بإنهاء المقابلة؟

- بالعكس.. لم تبدأ المقابلة إلا بعد أن رفضته.

قطب حاجبيه:

- أتعنين أنه استخدم المقابلة كإغواء ليجعلك تقبلين؟

- لا.. لم يكن هناك شروط لعرضه.. لأي من عرضيه!

- عرضاه؟ وهل طلب منك مرة أخرى؟

ردت بهدوء، تستمتع بخبث بارتباكه:

- لا.. في المرة الثانية طلب مني الزواج.

- حقاً؟ يا إلهي؟ وأعتقد أنك أخبرته أنك متزوجة؟

- لم يعتقد أن لهذا أية أهمية.

تصاعدت نظرة صاعقة إلى عينيّ كورت لكن غيرلي تابعت:

- لكنني قلت له إنني لا أحبه وإنني لا يمكن أن أسلم نفسي أبداً إلى رجل لا أحبه.

تغيرت تعابير وجه كورت على الفور، ومرر إصبعه على خطوط وجهها:

- أوه.. يا فتاتي الحلوة.. لو أستطيع فقط أن أقول لك كم تعنين لي.

لكنه أحس بإجفالها، فالجرح لم يكن قد التأم تماماً حتى الآن.. وقال بلهفة:

- اصغي إلي حبيبة قلبي.. أنا لم أهجرك هكذا.. لقد كتبت لك على الفور لأعلمك أنني سأبحث عن منزل لنا، وعن عمل جديد.. وأنني سأجيء لآخذك في وقت قريب.. لكن عندما اتصلت هاتفياً بعد خمسة أيام، قالت لي أمك إنك لا تريدين أية صلة لي بك بعد الآن وإن كل شيء انتهى بيننا.. وأتيت إلى منزلكم، لكن والدك قال إنك ذهبت لتعيشي مع أصدقاء وأقارب وأمرني بالرحيل.. ثم أمضيت وقتاً طويلاً أسافر، أزور من أعرفهم من أصدقائك وأقاربك.. خلال ذلك الوقت كنت قد تقدمت بطلب للعمل مع شركة المقاولات مجدداً.. وحين تأكدت أنني حصلت على العمل عدت إلى منزل أبويك مجدداً ودخلت بالقوة عندما حاولا منعي.. ركضت إلى غرفتنا، لكنها كانت فارغة وقد اختفت كل ثيابك. فتشت في الغرف الأخرى، ثم حاولت إجبارهما على إطلاعي على مكانك.. يا إلهي كم كنت غاضباً! قلت

أشياء غبية جداً لهما، فاستدعيا البوليس ليوقفني ويرميني إلى الخارج.

تحشرج صوته وأضاف:

- توصلت حينها إلى استنتاج بأن ما قالاه صحيح.. وأنك حقاً لا تريدين رؤيتي مجدداً.

بقيت غيرلي جالسة بلا حراك إلى جانبه، تعي برعب كيف أن والديها تدخلا ليحطما حياتها.. وتأوهت:

- أوه.. لا..! لا كورت! لقد افتقدتك كثيراً، وكنت وحيدة.. وأردت أن أموت..

بدأت تبكي أسفاً على السنوات التي خسراها وعلى الضياع الرهيب والألم الذي عانته وعاناه كورت كذلك.

تركها تبكي قليلاً، ثم رفع رأسها بلطف يمسح دموعها.

- هاي.. ألا تريدين سماع بقية القصة؟

أخذت غيرلي نفساً طويلاً مبعثراً في محاولة لتهدئة نفسها:

- أجل.. أجل.. بالطبع.

- حسن جداً.. عندما رحلت في المرة الأولى كنت غاضباً جداً، لكنني لم أستطع إبعادك عن أفكاري أو كراهيتك كما حاولت أن أفعل.. لقد أحببتك كثيراً. وكنت أبحث عنك في كل مرة أجيء فيها في عطلة إلى انكلترا، ولكن بدون جدوى.. إلى أن وجدتك أخيراً... وكان هذا في أوستراليا.

- في أوستراليا؟ لكنني لا أفهم، فأنا لم أذهب إلى هناك أبداً.

كانت عيناها قد اعتادتا الظلام، ورأت ابتسامته.

- لا.. إنما وجدت مجلة فيها إحدى مقالاتك مع صورة صغيرة لك.. وجدتها في موقع العمل. وعلى الفور اتصلت بمكتبك لكنهم رفضوا أن يعطوني عنوانك، فادعيت أن لدي قصة لك. فأخبروني أنك

ستصلين عما قريب إلى هنا في مهمة.

مدت غيرلي يدها وأنارت المصباح لترى وجهه.. نظرت إليه مستلقياً إلى جانبها:

- كنت تعرف أنني قادمة إلى كينوس؟ ولم يكن لقاؤنا صدفة؟

ابتسم بخبث:

- تمكنت بصعوبة من اللحاق بأول طائرة إلى اليونان، واستأجرت مركباً ثم أبحرت إلى هنا على أمل أن.. أصل قبلك.. ونجحت، فقد وصل مركبك بعد ساعات من وصولي.

صمتت لحظات تراجع معاني ما سمعت:

- وهل جئت إلى هنا على أمل أننا.. أن هذا قد يحدث؟

برزت نظرة جدية في عيني كورت، ومد يديه يدلك لها كتفيها.

- كم أود أن أقول نعم.. لكن الحقيقة أنني لم أكن أعرف ما أريده... كل ما فكرت فيه هو أنني يجب أن أراك مرة أخرى وأن أسمع من فمك أن علاقتنا انتهت فعلاً. نحن شخصان ناضجان الآن، ولم نعد ولدين.. وظننت أنه يمكننا أن نلتقي ثانية لنعرف كل منا خطأه، فقد يساعدنا هذا على بناء المستقبل.

ابتسم بقلق واشتدت أصابعه على كتفيها:

- على الأقل هذا ما أقنعت نفسي به.. لكنني حين التقيت بك، أصبح كل شيء فجأة أبسط من هذا كله.

- هذا ما لاحظته.. حسناً.. الآن تعرف أنك لازلت قادراً على التأثير بي.. لقد أصبح بمقدورك الآن أن تتحرر من الأوهام.. سيتمكن كلانا من التحرر الآن بعد أن لم يعد لدينا مشاعر ذنب ومرارة تجاه بعضنا.

رفع شعرها عن وجهها:

- أهذا ما تريدين . . أتريدين العشي في الطلاق؟

- أجل . . طبعاً . . فكلانا يبني لنفسه حياة مختلفة.

ضحك بتمتمة: أوه . . يا لك من كاذبة فاشلة . .

شدها إليه مجدداً وهمس:

- أحبك . . ولم أتوقف يوماً عن حبك . . ولن أتركك تفلتين من يدي مرة أخرى.

واكتشفا معاً ناراً ملتهبة كانت تحترق منذ زمن بعيد . . ووجدته كما تذكره تماماً: لطيفاً محباً، إضافة إلى المرارة والشوق . . واختفت المرارة وهما يرتقيان إلى قمة سعادة محت كل الآلام والمخاوف . .

استيقظت غيولي أولاً، وجلست حذرة ألا تزعج كورت النائم الذي كان يضع ذراعاً متملكة حولها . . كان النور لا زال مشتعلاً، ومدت يدها تطفئه لتسمح لأشعة شمس الصباح بالتسلل إلى المقصورة . . كان الطقس بارداً حتى أنها جذبت البطانية من أسفل السرير ووضعتها فوقهما . . تحرك كورت مبتسماً في نومه فنظرت إليه بحنان . . جلست لوقت طويل تنظر إليه، تفكر فيه، في ابنتها وفي المستقبل.

أخيراً تنهدت وقد اتخذت قرارها . . ثم انسلت من على السرير وذهبت لتستحم في الحمام الصغير وترتدي ملابسها . . فصدت المطبخ لتصنع فنجانين من القهوة وحملت واحداً إلى كورت واقتربت منه لتقبله وتوقظه.

تحرك ثم فتح عينيه ورضع يداً خلف رأسها يداعبها:

- لماذا ارتديت ملابسك؟ عودي إلى السرير.

ابتسمت:

- أنا فتاة عاملة . ألا تذكر؟ علي أن أعود إلى ميلمبا لأعمل على

قصتي وأتصل بصحيفتي.

- افعلي هذا غداً.

ابتعدت عنه:

- هناك أولويات . . أوكي؟ هاك . . جئتك بالقهوة.

جلس كورت بأهة كارهة ونظر إلى ساعته:

- لم تصل الساعة إلى السابعة حتى الآن.

- أعرف . . لكنني أريد إبلاغهم أنني حصلت على القصة كي يحجزوا لي فسحة في عدد الأسبوع القادم.

- حسن جداً سأشرب القهوة وأعيدك فوراً.

ابتسم وشدها إليه.

- أخبريهم عندما تتصلين بهم أنك لن تعودي قبل بضعة أسابيع وأنك ستمضين شهر عسل ثانٍ في الإبحار حول الجزر اليونانية.

واقتبه وهو يرتدي ثيابه ويحلق ذقنه فبدا لها الزمان وكأنه وقف ثابتاً وأنهما بقيا دائماً معاً هكذا . . في طريق العودة إلى ميلمبا تحدث عن الجزر التي سيزورانها، يقود المركب بيد ويلف الأخرى حول خصرها يضمها إليه.

قال عندما وصلا إلى الميناء:

- قومي بما تريدين فعله بسرعة . سأنتظرك هنا.

- ماذا ستفعل؟

- سأشتري بعض المؤن من البلدة . . ما يكفي لنبحر بضعة أيام دون التوقف في ميناء إلا إذا أردنا . .

أدارها إليه يعانقها مودعاً، وأدهشه عمق ردها والطريقة التي تعلقت فيها به.

- هاي . . ما هذا؟

رفع إصبعه إلى عينيها فتبلل بالدموع التي كانت تتسلل منهما.
ونظرت غيرلي إليه طويلاً وكأنها لا تشبع منه:
- أعرف أن هذا سخيف.. أليس كذلك؟ أحبك كورت.
وتعلقت به مجدداً، فأمسكها بشدة:
- أعرف حبيبتي.. لكن أمامنا كل الوقت في العالم الآن.. أسرعي في العودة.. لا أستطيع الانتظار لتكوني لي وحدي.
ابتسمت غيرلي وسارت بسرعة نحو التراقيرنا، ثم استدارت عند أعلى الدرج تنظر إليه وتلوّح له.
عندما أصبحت في غرفتها غيرت ملابسها بسرعة، ثم نظرت من النافذة فرأت مركب الصيد التجاري راسياً في الميناء ولمحت صاحبه يتجه نحو التراقيرنا.. بعد دقائق غادر كورت مركبه وسار إلى البلدة، وما إن اختفى عن نظرها حتى التقطت حقائبها ونزلت السلم.. سارع الصياد إلى أخذ الحقائب منها فيما ذهبت لتدفع حسابها، ثم ركضت على رصيف الميناء إلى المركب، تصلي لله ألا يعود كورت بسرعة ويراها.. وقفت في مقدمة المركب تراقب، لكنها لم تر أثراً لكورت فاسترخت ببطء وراحت تنظر إلى الجزيرة إلى أن لم تعد أكثر من خط بارز أسود أمام الأفق.

* * *

كانت خضرة الريف الإنكليزي منظراً مريحاً بعد الجمال اليوناني الصارخ.. وكان رائعاً أن تكون هناك.. أن تشم رائحة زهر العسل المتعرش على جدار المنزل الريفي، وأن تحتضن ابنها بين ذراعيها مرة أخرى.. لكن لم يكن لديها سوى بضع ساعات قضتها معه قبل أن تضطر إلى العودة إلى لندن حيث أوصلت قصتها وتلقت التهنئة من رئيس تحرير المقالات الخاصة إضافة إلى رئيس تحرير الصحيفة

نفسه.. واستغلت غيرلي جو الموافقة فطلبت أسبوعي عطلة أعطيت لها باستعداد تام. لكن قبل أن تعود إلى منزلها التفتت إلى رئيسها:
- أوه.. على فكرة.. إذا اتصل رجل يدعى ماكسويل.. كورت ماكسويل.. يسأل عني، أعطه عنوان منزلي أرجوك.
- أوكي.. سأفعل. وما هو.. دليل إلى قصة جديدة؟
- شيء من هذا..
ثم خرجت لتعود إلى منزلها متسائلة ما إذا كان سيسأل يوماً.
مرت ثلاثة أيام قبل أن يأتي كورت. كانت غيرلي في غرفة النوم الأمامية للكوخ حين سمعت هدير سيارة في الطريق الداخلية، ونظرت إلى الخارج. كان اليوم يوم سبت، ودارن في البيت يلعب في الحديقة تحت أشعة الشمس، ضائع ما بين الأعشاب المرتفعة، يبحث عن أرنبه الجديد الذي أطلقه من قفصه.. توقفت السيارة في الخارج وخرج كورت متقدماً نحو البوابة، وتفحص الاسم ليتأكد من العنوان.. ارتدت غيرلي مقطوعة الأنفاس فجأة، ونبضاتها تتسابق
بينما كورت يرفع رتاج البوابة. سمعه دارن ويوز من بين الأزهار وأوراقها عالقة في شعره ولطخات الوحل على وجهه: مرحباً.. لقد أضعت أرنبي
ابتسم له كورت:
- من الأفضل أن أقفل البوابة إذن.
وانحنى إلى مستوى دارن: ما لونه؟
- أبيض.. ولا اسم له بعد.. فقط السيد أرنب.
- حسناً، ربما لا زال في حديقتك.. هل دخلت عبر سياج الشجيرات الشائكة؟
فطب دارن:

ـ هذه حديقتي.. والسيد أرنب يعيش في القفص الذي صنعته له أمي.

بدت نظرة حيرة على وجه كورت وهو يسعى إلى فهم الموقف.

ـ لماذا لم يصنعه لك والدك؟

نظر دارن بعينيه الزرقاوين البريئتين إلى وجه كورت، وقال ببساطة:

ـ ليس لي أب.. لقد رحل قبل أن أولد.. لكن أمي تقول إنني أنا الذي سأعتني بها حين أصبح كبيراً.

وبدا عليه الفخر والاعتزاز.

وقف كورت فجأة ونظر مطولاً إلى الصبي. رفعت غيرلي التي كانت لا تزال واقفة في النافذة يدها إلى فمها تعض أصابعها بقسوة.. تترقب بعذاب ما سيفعله.. سأل وقد ابيض وجهه: وما اسمك؟

رفع دارن نظره إليه متردداً خائفاً من ونة صوته ومدركاً أن هذا الرجل الطويل غريب.. لقد قيل له ألا يتحدث إلى الغرباء، وأجاب باستعجال وهو مقطوع الأنفاس:

ـ دارن كوورتيس ماكسويل هيسون.

خفق قلب غيرلي وهي ترى النظرة على وجه كورت، ورأته ينظر إلى ابنه ليرى قسمات وجهه هو.. جثا ببطء على ركبتيه ومد يداً حانية ليلمس شعر الصبي، وفمه يلتوي بما يشبه الألم. ثم قال بصوت أجش

ـ مرحباً.. يا بني.

وشد الصبي يحتضنه بكل قوة.

لا بد أن غريزة ما جعلت دارن يشعر أنه آمن، فهو لم يبك أو يصرخ. لكنه بعد قليل بدأ يتململ، فخفف كورت من ضغط احتضانه له، ثم حمله ووقف به:

ـ دعنا نذهب لنفتش عن أمك، أيمكن؟

فجأة عادت الحياة إلى أوصال غيرلي، وطارت تنزل السلم وتخرج إلى الردهة. كانا في نصف الطريق إلى الباب الأمامي عندما خرجت من الباب.. وتوقفت وشعرها منطاير حول وجهها.

شاهدها كورت.. واشتعلت عيناه للحظات غضباً:

ـ أيتها البلهاء! أنت مجنونة وغبية!

لكنه مد لها ذراعه الأخرى فركضت إليه ودموع السعادة تغسل وجنتيها.. وتبللت عيني كورت كذلك.. وضع يده على مؤخرة عنقها وقال بخشونة:

ـ لماذا لم تخبريني بحق الله؟

بعد وقت طويل، حين استعاد كلاهما وعيه قليلاً وخرج دارن ليتابع البحث عن أرنبه أجابت غيرلي على سؤاله.. قادته إلى مقعد خشبي تحت شجرة التفاح القديمة وقالت بارتباك:

ـ لم أرغب أن تعود إلي لأنك مضطر لهذا. أردتك أن ترغب في العودة.. كان يجب أن أتأكد من أن الأمر لم يكن مجرد رغبة عابرة.. فكرت أننا لو عدنا معاً مرة أخرى، قد تدرك أن المسألة لم تكن سوى رغبة أردتها وانتهى الأمر، ولسوف تبتهج لابتعادي.. ولم أستطع أن أخاطر في إخبارك بأمر ابنك في حال ظننت أن من واجبك أن تعود.. أنت تفهم ما أعني.. أليس كذلك؟

ـ أوه.. غيرلي.

ضمها إليه وعانقها طويلاً.. ودفنت غيرلي وجهها في كتفه، فأحست به يملس شعرها.. ويقول بصوت أجش:

ـ يا إلهي.. لو كنت أعلم.. لقد مررت بلا ريب بمصاعب جمة وأنت تعيلينه وتربينه بمفردك.. ألم يساعدك والداك قط؟

استقامت غيرلي ودفعت شعرها عن وجهها بيد مرتجفة.

- لا.. بل أرادني أن أجهضه وأطلقك. و.. وأنا.. لم أستطع فعل هذا. هكذا رحلت! أعتقد أنهما كانا يمزقان رسائلك، فأنا تركت المنزل قبل عودتك مباشرة ولم أكن أعتقد أنك لا زلت تريدني.. أوه.. كورت.. لو أنني فقط انتظرت قليلاً.

تمتم بشتيمة من تحت أنفاسه، ثم قال بلهفة:

- سأعوض كل شيء لك حبيبتي. أقسم على هذا.. لقد عرضت علي وظيفة إدارة الشركة ومركزها هنا في لندن.. وسنبقى دائماً معاً ثلاثتنا.

تحركت إلى فردوس ذراعيه الآمن: أوه.. كورت.

سعادتها الآن كاملة وكورت بعانقها مجدداً، وكأنه غير مصدق أنها عادت إليه أخيراً.

قاطعهما صوت دارن الرفيع وهو يدخل راكضاً: مامي لقد وجدت الأرنب.

صمت قليلاً ثم سأل بارتياب: لماذا تقبلين هذا الرجل؟

ضحك كورت:

- ثمة رنة تملك حتماً في هذا السؤال. متى ستقولين له من أنا كي يعتد على رؤيتي وأنا أقبلك؟

وقفت غيرلي تسد يديها إليه، ووجهها مشرق سعادة وحباً:

- وما خطب الآن فوراً.. لنقل له هذا معاً. أيمكن؟ أوه كورت، لقد انتظرناك معاً طويلاً لتعود إلينا!

* * *